16 ème Année No. ٨٠٦

Lundi — 13 — 12 — 1948

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Litteraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الادارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة
١٠٠ فى مصر والسودان
١٥٠ فى سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ٢٠ مليما

الاعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العـــدد ٨٠٦ « القاهرة فى يوم الاثنين ١٢ صفر سنة ١٣٦٨ — ١٣ ديسمبر سنة ١٩٤٨ » السنة السادسة عشرة

المنبـــوذة

— ١ —

جمعنى مجلس من مجالس المنصورة الأدبية ببعض السيدات الحديثات من اللائى يتزعمن دعوات الخير ، ويتصدرن حفلات التكريم ، ويغشين أندية الرياضة . وكان مجلسى من الصالون بين سيدتين رشيقتين أنيقتين لهما اطلاع على الأدب ومشاركة فى الثقافة . فجرى الحديث بينهما وبينى أول الكلام فيما يشغل الناس من أمر فلسطين ومصير اللاجئين ؛ ثم أفضى إلى ذكر ما تبذلان من الجهد الجاهد فى معونة الهلال الأحمر ومبرة محمد على ، فتم سياق حديثهما وما شاب أداءه من نبرات الزهو وحركات العجب على ما تضمران من حب الظهور ورغبة الشهرة ، فى طوايا ما تظهران من حب الخير ورغبة المنفعة . والمرأة الجميلة الغنية لا تجد فى الحياة المصرية مظهراً لفتنتها ، ولا ممرضاً لزينتها ، ولا سبيلا لشهرتها ، إلا فى الحفلات الخيرية والخدمات العامة : فهى تشترك فيها بالشعور والحضور لتظهر ، وتتبرع لها بالجمال والمال لتُذكر . بله ما تشعر به من الرضا والغبطة بمنافستها للرجل فى ميدان عمله ، ومساعدتها للوطن على تحقيق أمله .

ثم انتقلنا إلى حديث الأدب فذكّرتنى إحداهما بما كتبته فى الرسالة عن (مثل المرأة الحديثة) فشكرت بعضه وأنكرت بعضه . وكان الذى أنكرته ما يرمى إلى تقييد المرأة وقصر كفايتها على تربية الطفل وتدبير البيت ومعاونة الرجل . ثم مضت تنوه بما يكون للمرأة الحرة المستقلة من أثر فى الأسرة وبلاء فى المجتمع إذا شاء الرجال أن يُفردوها بشؤون البيت ويشركوها فى أمور الوطن . وفى اللحظة التى كانت تقول فيها : « إن المرأة روح الأمة والرجل جسمها ؛ وإن الزوجة رأى الأسرة والزوج عزمها » ، طنى على صوتها الحماسى صوت سيدة نصّاف كانت تتحدث فى تأثر وامتعاض إلى هلال من عقائل المدينة فيهن ربة الدار ؛ فأصختنا وأصاخ الجلوس فإذا هى تروى حادث الطلاق الذى وقع فى الأيام الأخيرة بين فتى محافظ أبوه من نبلاء الريف ، وبين فتاة حرة أبوها من أطباء المدينة . وكان سبب هذا الطلاق الذى أعقب الزواج أن العروس كانت مغرقة فى التحرر ، مسرفة فى التجدد ، فسمت بنفسها على أسرة العريس ، ورمت حماها بالرجعية وحماتها بالأمية ، وطلبت أن تسيطر على أرزاق البيت وعلى أذواق أهله ، فتبدل أثاث الغرف كل سنة ، وتغير زى النساء كل شهر ، وتقيم حفلة استقبال كل أسبوع . ثم اقترحت أن يزال الجدار الحاجز بين البهو والردهة ليكون منهما مرقص متى أريد الرقص ومقصف متى أريد القصف ؛ وأن يُقلع الشجر المثمر فى الحديقة لينشأ على مكانه ملعب للتنس وحوض للسباحة . وكان المطلب الأخير ألا يدخل البيت ويقيون من أقارب الزوج ولا فلاحون من رجال العزبة . فلم يستطع الزوج معها صبراً ، ولم يجد أبوه لترويضها حيلة ، فكان الفراق وكانت الفضيحة ! !

فلما سمعت جارتاى الخبر وكانتا على علم به من قبل ، قالتا

الصهيونية هى الخطر الأول

فى حاضر الشرق العربى ومستقبله

للأســـتاذ عمر حليق

قد يكون الكاتب أو القارئ العربى أو كلاهما مصابا بمركب « اليهودية » إذا جاز لنا استعارة هذا التعبير من مصطلح علماء النفس ، ولكن أى تحليل لا يعترف بأن المشكلة الصهيونية هى الخطر الأول فى حاضر الشرق العربى ومستقبله لا ينصف الحقيقة ويساير منطق الحوادث والأشياء .

ولنترك الشرق العربى ، ولنترك فلسطين لنتعرف على لون من ألوان الخطورة التى تحيكها اليهودية العالمية فى أمريكا وهى البلاد التى بلغ اليهود فيها أوج النفوذ وما يتبعه من رخاء وقوة وجاه .

فى هذه الحرب الباردة التى يشنها الروس والانجلوسكسون فى برلين وهيئة الأمم وأقصى القارة الآسيوية وفى كل ناحية من نواحى الحياة السياسية والاقتصادية والفكرية تلعب اليهودية العالمية بالنار لعبة أكبر الظن أنها ستحرق نفسها مرة ثانية فى

بلسان واحد : « المودرنة المودرن ، والقديمة للقديم ! والمخطىء هو الذى ينزل فى غير أهله ، ويقع على غير شكله ! » .

ثم تركنا القوم يعلقون على الحادث والحديث بما يشاءون ، وانتقلنا إلى مائدة الشاى ثم عدنا حيث كنا . وعادت جارتى اليسرى إلى حديث التقيد والانطلاق ، وكانت جارتى الأخرى قد فتحت محفظتها وأخرجت منها قلم الروج أو الاصبع الأحمر وأخذت تجدد به صبغة شفتيها ، ثم أعادته وأخرجت سيكارة انجليزية وأشعلتها ، وقطعت صاحبتها الحديث وقملت فعلتها . ثم لحظتا بعض الهنوات على زينة الدعوات وأزيائهن ، وتبادلتا بعض الغمزات على كلام المتحدثات وآرائهن . ثم أقبلتا علىّ تستأنفان ما كنا نخوض فيه من الحديث فوجدتانى شارد اللب مطرق الرأس مطبق الجفنين كأنما أخذتنى فترة النعاس ، فقالتا لى : ماذا عراك ؟ فقلت لهما : ذكرى بسمتها فى الخاطر هذا الأحمر على شفتيكما وخديكما ! فقالتا : أنعم بذكرى تظفرنا منك بحديث ، ونمتعنا بلذة الموازنة بين القديم والحديث ...

(للحديث بقية) احمد حسن الزيات

أقل من عشرين سنة . أين تقف اليهودية العالمية — وهى عالمية منظمة كما تشهد بذلك فلسطين — أين تقف من هذا الصراع ؟

إن النزاع بين الماركسية السوفياتية وبين الديمقراطية الانجلوسكسونية حقيقة لا مفر لكلتيهما من التسليم بها .

فالماركسية السوفياتية وما علق بها من فلسفة لينين وستالين نعترف فى تحليلاتها الاقتصادية والفلسفية والقانونية والسياسية بأن بقاء الشيوعية وحياتها ستظل معرضة للخطر ، خطر الفشل ثم الانحلال والدمار ، ما لم تحول العالم بأسره إلى الشيوعية عن طريق الثورة وما يسبقها من ممهدات . فهى بذلك حركة توسع من نوع مستحدث وخطير معاً . ولن تنفع فى دفع هذه الحقيقة ملايين الخطب والتصريحات التى تصدر عن موسكو وعن فيشينسكى من منابر الأمم المتحدة . ذلك لأن هذا التوسع منصوص عليه فى التعاليم الشيوعية وفى الدساتير الشيوعية وفى ثورات الشيوعية وكتبها المقدسة وفى ماركس وانجلس ولينين وستالين .

والرأسمالية الغربية ، وإن لم تكن دساتيرها وفلسفتها السياسية وأنظمتها الاقتصادية تتطلب مثل هذا التوسع السوفياتى — فللغرب توسع استعمارى تقليدى من نوع مماثل فى السوء — إلا أن هذا التحدى السوفياتى يضع الديمقراطية الغربية فى نفس الوضع الهجومى الذى تقف فيه روسيا السوفياتية ، ويجعل أمريكا وهى معقل هذه الديمقراطية فى هذه الأهبة التى تستعد فيها المواجهة للتوسع السوفياتى ولسحقه وإبادة الماركسية الثوروية من الوجود فى المراحل النهائية إذا استطاعت ذلك .

أين يقف اليهود ، وهم قومية لها فى كل معسكر جالية ضخمة العدد ، قوية النفوذ ؟

فى روسيا نفسها نجد العنصر اليهودى فى الحزب الشيوعى وفى ألسنته الشعبية والفكرية بارزا أشد البروز .

فرئيس تحرير براودا ، واسفستيا ، وكبار الملقين فى راديو موسكو ، وكبار كتاب المقالة السياسية (أمثال اهرنبرغ) يهود ، ومراسلا تاس فى أمريكا وفى هيئة الأمم يهوديان كذلك .

وفى بولندا يبرز العنصر اليهودى فى النظام الشيوعى القائم هناك أشد البروز فى وجه مجتمع كاثوليكى بحت بحكم تعاليمه وتأصل التقوى فيه الشيوعية مقتاً — لعل الفاتيكان خير من عبر عنه فى أكثر من مناسبة .

وعلى سبيل المثال فإن الوفد البولندى لهيئة الأمم مؤلف من خمسة أعضاء رئيسيين كلهم يهود .

وفى رومانيا مدام بوكر وزيرة الخارجية (وهى ابنة حاخام) تحكم البلاد حكم السيد المطلق السلطة .

وكان لليهود فى انقلاب تشيكوسلوفاكيا اليد الطولى ، وفى هنغاريا وقسم الاحتلال الروسى فى النمسا وألمانيا عددهم ونفوذهم فى الحكم والتوجيه الفكرى والسياسى ظاهر .

ترى ما مبلغ عداء العناصر القومية فى تلك البلدان لهذه السيطرة اليهودية ؟ لا يمكنك أن تجد الجواب فى الصحف المحلية — فهذا غير معقول — ولا تجده كذلك فى الصحف الأجنبية فى الدول الديمقراطية ، فكلمة « اللاسامية » أصبحت — بفضل الضغط والدعاية اليهودية المنظمة — وسيطرتهم على معارض الإعلان ودور النشر والإذاعة والسينما ، وباء لا يلمسه المثقفون والكتاب فى العالم الغربى إلا ويضعون مستقبلهم الأدبى والاقتصادى فى يد « الجستابو » اليهودى الذى يطلق على نفسه فى أمريكا « مجمع مقاومة التشهير » وميزانيته للسنة الحالية ، ٦ ملايين دولار!

ولكن الظاهرة الخطيرة أن هذا الضغط ، هذا الجستابو اليهودى بشدته وجبروته أخذ يدفع العناصر الجريئة فى أمريكا إلى أن تحاربه بنفس السلاح — بالتشهير على طريقة جوبلز . ففى النشرة الأخيرة التى أصدرها هذا المجمع اليهودى نفسه يعترف بأن موجة العداء ضد اليهود فى أمريكا قد ارتفعت ارتفاعاً مخيفاً .

وهذه الظاهرة تدعو إلى التساؤل : ذنب من هذا ؟ ذنب اليهود أم غير اليهود ؟ الجواب أن الذنب على الفطرة ، وعلى روح التحدى والخداع والمواربة التى تتملك العقلية اليهودية فى كل مكان وفى كل جيل فتجلب على اليهود وعلى المجتمع الذى يأويهم فوضى الشغب العنصرى الذى بليت به ألمانيا فى ظل النازية ، وبليت به روسيا العنصرية ، وأسبانيا الكاثوليكية من قبل ، وتبلى به العراق مثلا اليوم .

قلنا إن النزاع بين الشيوعية السوفياتية والرأسمالية الأمريكية حقيقة لا مفر من التسليم بها على شناعتها . واليهود فى أمريكا يعلمون ذلك ويعلمونه أكثر من كل المواطنين ، وذلك لأن وعيهم السياسى شديد فهو يتمشى مع عقليتهم ونشاطهم الاقتصادى . ولكن أين يقف اليهود ؟

اليهود هم العنصر الرئيسى فى الحزب الشيوعى الأمريكى ، وذلك بشهادة هذه التحقيقات التى لا تزال اللجنة البرلمانية الأمريكية تلاحقها منذ أكثر من سنة . واليهود وراء حزب هنرى والاس وهو حزب مهادنة الروس بأى ثمن .

ونسبة اليهود الذين يدرسون النظريات الماركسية والسوفياتية فى الجامعات ومعاهد العلم الأمريكية عالية جداً ، والكتاب الذين يعالجون مواضيع العلاقات السوفياتية والأمريكية بروح العطف تجد نسبة اليهود بينهم عالية جداً ، ولذلك كان من الصعب ، بل من المستحيل على الأصوات الأمريكية الخافتة التى تفهم قضية فلسطين وقضايا العالم العربى أن تقنع الرأى العام الأمريكى بخطورة محالفة موسكو والصهيونية فى فلسطين ، على المصالح الأمريكية .

ولذلك كان من الصعب جداً على خبراء السياسة العسكرية فى أمريكا وبريطانيا أن ينجحوا فى ضم أسبانيا إلى البرنامج العسكرى لأوربا الغربية .

وحتى فى مشكلة برلين ، حيث التوتر على أشده يقف والترليمان وهو معقب سياسى يهودى خطير النفوذ يطلب أن تحل مشكلة برلين على حساب الشعب الألمانى بأن يبنى خط الدفاع العسكرى فى فرنسا وراء مناجم الرور وفحمه ! ويسوى خلاف أمريكا وروسيا ، بأن ينسحب الطرفان ويترك الشعب الألمانى لمقدراته ، بيؤسه وحطامه ليبيدا ولزيادة التعريف بليبان هذا أقول إنه وضع مشروعاً لحل قضية فلسطين قبل أن يضع تقريره برنادوت بأربعة أشهر ، ومشروع برنادوت صورة فوتوغرافية لمشروع ليبان !

ومن قبل والترليمان هذا شرع يهودى أمريكى آخر ، هو هنرى مورجنثاو عند ما كان وزيراً للمالية بواشنطون زمن الحرب وبعد انتهائها ، يمحو مقومات الثقافة والاقتصاد والكيان الحيوى لألمانيا بواسطة مشروع جهنمى اكتشف الأمريكان خطورته قبل أن يتم تحقيقه فأقيل مورجنثاو ، وهو الآن يدير المجهود الحربى ليهود فلسطين فى أمريكا .

ومن وجهة النظر الأمريكية البحتة فإن إحياء ألمانيا ضرورة لازمة .

ما الذى يفيده الشرق العربى من هذه الصورة اليهودية الخطيرة؟

الجواب يفيد فى مراقبة تسرب النفوذ اليهودى فى ألسنة الرأى العام والتوجيه الصحفى والثقافى فى العالم العربى؛ فحركة « الكاتب المصرى » يجب ألا تكرر ، وديكتاتورية السينما والإعلانات اليهودية والأنباء الخارجية ، وتمكن اليهود فى النفوذ الاقتصادى العربى يجب أن يوقف بأى ثمن . إن هذا النفوذ هو الذى أعمى الأمريكان والروس معاً ، ومعهم عشرات الدول الأوربية عن مأساة العرب فى فلسطين ، وعن مآسيهم فى السودان ومراكش

مجال الأدب بين مظاهر الشعور

للأستاذ أحمد أحمد بدوى

يرى علماء النفس للشعور مظاهر ثلاثة : فهو تفكير إذا كان بحثاً عن حقائق الوجود لمعرفة أسبابها ، واستنباط قواعدها ، وإدراك ما بين بعضها وبعض من صلة أو تنافر ؛ وهو وجدان إذا صحبه إحساس باللذة والألم ، فالحب والبغض ، والسرور والحزن ، والرجاء واليأس ، والخوف والغضب ، كلها وجدانات تتصل بالنفس فتحدث بها لذة أو ألماً ؛ وهو إرادة إذا حفز المرء إلى العمل ، ودفعه إليه ، كالرغبات والنيات .

وإن بين هذه المظاهر النفسية اتصالا وثيقاً لا يتأتى معه انفصال واحد عن صاحبيه ، وإن كان المظهر الغالب لأحدها ؛ فمن المحال أن نجد ألماً فى أنفسنا من غير أن نبحث عن سببه ونبذل طاقتنا فى سبيل إبعاده . ويستحيل أن نفكر فى عمل عقلى من غير أن نشعر بارتياح إذا سهل الأمر وانقاد ، وامتعاض إذا اعتاص والتوى . والأعمال الإرادية يصحبها التفكير والوجدان ، ولا تستقل بنفسها أبداً .

غير أن الصلة التى تربط هذه المظاهر بعضها ببعض قد تكون طبيعية ، إذا كانت التجربة نفسها تستدعى هذا الترابط بطريق تداعى المعانى ، كما إذا وصل إليك نبأ نجاحك مثلا ، فإن خواطر شتى تفد إلى نفسك من كل صوب : ما بين سرور وابتهاج بما ظفرت به ، وتفكير فى الوسائل التى انتهجتها ، فوصلت بك إلى تلك الغاية السعيدة ؛ إلى رغبات وعزمات تصمم عليها ، ويدفعك إليها هذا الظفر المحبوب ، وبينا ترى بعض هذه الخواطر واضحاً جلياً للنفس ، يحتل بؤرة الشعور أو الحواشى القريبة منها ، تجد بعضها الآخر غامضاً خفياً لا تكاد تشعر به ، وتكون الصلة غير طبيعية إذا لم تكن التجربة مستدعية لها بطريق تداعى المعانى ، كما إذا كنت تدرس نظريات الهندسة ، فسئمت العمل وتركته فليس بين نظريات الهندسة والسأم من صلة .

ليس التفكير الخالص بميدان للأدب ، وإنما هو مرتع للعلم وحده ، أما الأدب فمجاله الإحساس بالحسن الذى يثير فى النفس لذة ، أو بالقبح الذى يبعث فيها ألماً ، فالأدب تعبير عن هذا الإحساس ، وتصوير له ، فهو لسان الوجدان وترجمانه ، إذا كان العلم لسان التفكير والمبين عنه .

تسمع قول قُريْط بن أنيْف يعاتب قومه الذين لم ينجدوه ويمدح بنى مازن ؛ لأنهم أخذوا بيده ونصروه :

لو كنت من مازن لم تستبح إبلى ... بنو اللقيطة من ذهل بن شيبانا
إذاً لقام بنصرى معشر خشن ... عند الحفيظة إن ذو لوثة لانا
قوم إذا الشر أبدى ناجذيه لهم ... طاروا إليه زرافات ووحدانا
لا يسألون أخاهم حين يندبهم ... فى النائبات على ما قال برهانا
لكن قومى وإن كانوا ذوى عدد ... ليسوا من الشر فى شىء وإن هانا
يجزون من ظلم أهل الظلم مغفرة ... ومن إساءة أهل السوء إحسانا
كأن ربك لم يخلق لخشيته ... سواهم من جميع الناس إنسانا
فليت لى بهم قوماً إذا ركبوا ... شنوا الإغارة فرساناً وركبانا

فالشاعر هنا يصور لنا نقمته على قومه ، وازدراءه كثرة عددهم لخورهم وجبنهم ، حتى ليقابلون ظلم ظالمهم بالصفح والغفران ، وإساءة المسيئين إليهم بالعفو والإحسان . يلتمسون لضعفهم المعاذير ، من الخضوع لتعاليم الدين ، فكأن الله لم يخلق غيرهم لخشيته . أما بنو مازن فهو معجب ببسالتهم وإقدامهم ، يتمنون حماهم أن يستباح ، ويجد أعداؤهم فيهم خشونة لا تلين ، يسرعون إلى نصرة أخيهم قبل أن يطلبوا منه برهاناً على ما قال ، فلا عجب أن تمنى استبدال قومه بغيرهم .

تحدث الشاعر فى تلك القطعة عن إعجابه وسخطه ، أى عن إحساسه بالجمال والقبح ، ونجح فى تصويرهما ، مستعيناً على ذلك بألوان من الخيال ، تكاد تلمس بها خشونة جانب من نصروه ، وترى بها الشر مكشراً لهم عن أنيابه ، وتبصرهم طائرين لا يلوون على شىء ، ومورداً هذه المناقضات التى ما كان يليق أن تكون ، ومهكما بهم تهكما مرا لاذعاً ، ويشعر القارئ لهذا الشعر بلذة آثارها فينا نجاحه فى التصوير ، وبراعته فى التعبير .

بينا نحن لا نعد من الأدب هذه المقالات العلمية التى تخاطب التفكير وحده ، من غير أن تشرك الوجدان معه .

والجزائر وتونس . كتبت جريدة « الجويش كرونيكل » اليهودية فى لندن تقول إن يهود شمالى أفريقيا يعتقدون بأن كيانهم مرتبط بالاتحاد الفرنسى ، أمام بيع الجامعة العربية !

وفى عالم مضطرب ، وفى شرق يحاول بناء حضارة ومجد أصيل ، يجب أن يعلم أن اليهودية العالمية تشكل أخطر ما يواجهه من شرور . إنه خطر تكرر فى أجيال سابقة وثقافات سابقة وفى التاريخ لنا عبرة .

(نيويورك) عمر عليوه

على أن الأديب قد يستعين بقضايا الفكر على تصوير هذا الإحساس ، كما فعل المتنبي عندما أراد أن يصور حيرته اليائسة من الوصول إلى أن يدرك كنه الحياة ومصير الوجود فقال :

تخالف النـــاس حتى لا اتفاق لهم
إلا على شجب والخلف فى الشـجب

فقيل : تخلص نفس المرء سالمة وقيل تشرك جسم المرء فى العطب
ومن تفكر فى الدنيا ومهجته أقامه الفكر بين العجز والتعب

وهنا نجد الطريق ممهداً للحديث عن هدف الأدب ، والحق أننا نقف بهذا الهدف عند حد الإثارة الوجدانية ، فلا نطلب منه أن يمدنا بأفكار صادقة عن الحياة ، ولا أن يثير فينا النزوع إلى الأعمال الصالحة ، أى أنه ليس مهمته التعليم والإصلاح ، وإن كان ذلك لا يمنع من أن يزودنا بالأفكار ، أو أن يحرك إرادتنا للعمل ، سواء أكان ذلك مقصوداً للأديب أم غير مقصود ؛ فقد يقف الأدب عند حد الإثارة الوجدانية فحسب ، كما فى أدب الطبيعة ، وشعر الغزل وكثير من المراثى والرسائل ، والمقالات العاطفية المحضة ، مثل قول البحترى :

أتاك الربيع الطلق يختـــال ضاحكا
من الحسن حتى كاد أن يتكلما

وقد نبه النيروز فى غسق الدجى أوائل ورد كن بالأمس نوّما
يفتقها برد الندى فكأنه يبث حديثاً كان قبل مكتما
فمن شجر رد الربيع لباسه عليه ، كما نشرت وشياً منمنما
أحل ، فأبدى للعيون بشاشة وكان قذى للعين إذ كان محرما
ورق نسيم الريح حتى حسبته يجىء بأنفاس الأحبة نعّما

وقول العسكرى :

حننت إلى ريّا ونفسك باعدت مزارك من ريا وشعباكما معا
فما حسن أن تأتى الأمر طائعاً وتجزع أن داعى الصبابة أسمعا
فقا ودعا نجداً ، ومن حل بالحمى وقلّ لنجد عندنا أن يودعا
بنفسى تلك الأرض ما أطيب الربا
وما أحسن المصطاف والمتربعـــا

ولما رأيت البشر أعرض دوننا وجالت بنات الشوق يحنين نزّعا
بكت عينى اليسرى فلما زجرتها عن الجهل بعد الحلم أسبلتا معا
تلفت نحو الحى حتى وجدتنى وجمت من الإصغاء ليتاً وأخدعا
وأذكر أيام الحمى ، ثم أنثنى على كبدى من خشية أن تصدعا
وليست عشيات الحمى برواجع إليك ولكن خل عينيك تدمعا

وقول ابن الرومى يرثى ابنه .

بكاؤكما يشفى وإن كان لا يجدى فجودا فقد أودى نظيركما عندى
ألا قاتل الله المنـايا ورميها من القوم حبات القلوب على عمد
توخّى حمام الموت أوسط صبيتى فلله كيف اختار واسطة العقد
على حين شمت الخير من لمحاته وآنست من أفعاله آية الرشد
طواه الردى عنى فأضحى مزاره بعيداً على قرب ، قريباً على بعد
لقد أنجزت فيه المنايا وعيدها وأخلفت الآمال ما كان من وعد
لقد قلّ بين المهد واللحد لبثه فلم ينس عهد المهد إذ ضم فى اللحد
محمد ، ما شىء توهم ســـلوة اقلبى إلا زاد قلبى من الوجد
أرى أخويك الباقيين كليهما يكونان للاحزان أورى من الزند
إذا لعبـا فى ملعب لك لذّعا فؤادى بمثل النار عن غير ما قصد
فما فيهما لى ســـلوة بل حرارة
يهيجانها دونى وأشـــق بها وحدى

وحيناً يمدنا بمعلومات عن الحياة ، ونظم الكون والمجتمع على شريطة أن يكون ذلك ممتزجاً بشعور الأديب ، وناشئاً عن تجربة شخصية له ، كما ترى ذلك فى ألوان الأدب الاجتماعى والسياسى وفى شعر الحكمة كقول زهير :

ومن لم يصانع فى أمور كثيرة يضرس بأنياب ويوطأ بمنسم
ومن يك ذا فضل فيبخل بفضله على قومه يستغن عنه ويذمم
ومن يجعل المعروف فى غير أهله يعـــد حمده ذماً عليه ويندم
ومن لا يذد عن حوضه بسلاحه يهدم ، ومن لا يظلم الناس يظلم
ومن يغترب يحسب عدواً صديقه ومن لا يكرّم نفسه لا يكرّم
ومهما تكن عند امرئ من خليقة
وإن خالها تخفى على الناس تعـــلم

لسان الفتى نصف ونصف فؤاده فلم يبق إلا صورة اللحم والدم

وقول المتنبى :

إذا أنت أكرمت الكريم ملكته
وإن أنت أكرمت اللئـــيم تمردا
ووضع الندى فى موضع السيف بالعلا
مضر كوضع السيف فى موضع الندى
وما قتل الأحرار كالعفو عنهمُ ومن لك بالحر الذى يحفظ اليدا
وقيدت نفسى فى ذراك محبة ومن وجد الإحسان قيداً تقيدا

وقوله :

إنما أنفس الأنيس سباع يتفارسن جهرة واغتيـــالا

من أطاق التماس شيء وغلابا واقتساراً لم يلتمسه سؤالا
كل غاد لحاجـــة يتمنى أن يكون الغضنفر الرئبالا

وقديماً عدوا حسن إيراد الحجة من البلاغة ، وضربوا بذلك المثل بقوله تعالى : « وضرب لنا مثلاً ونسى خلقه ، قال من يحى العظام وهى رميم ؟ ! قل : يحييها الذى أنشأها أوّل مرة ، وهو بكل خلق عليم ، الذى جعل لكم من الشجر الأخضر ناراً فإذا أنتم منه توقدون ، أو ليس الذى خلق السموات والأرض بقادر على أن يخلق مثلهم ؟ بلى ، وهو الخلاق العليم ، إنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له : كن ، فيكون ؛ فسبحان الذى بيده ملكوت كل شيء وإليه ترجعون » .

وحيناً يثير الأدب فينا الإرادة ، ويدفعنا إلى العمل . وأظهر ما يتجلى ذلك فى الخطابة ، فإنها كثيراً ما ترمى إلى إثارة التفكير المصحوب بالوجدان والمتبوع بالعمل كخطابة عبد الله بن طاهر فى جنده ، وقد تجهز لقتال الخوارج : « إنكم فئة الله ، المجاهدون عن حقه ، الذابّون عن دينه ، الذائدون عن محارمه ، الداعون إلى ما أمر به من الاعتصام بحبله ، والطاعة لولاة أمره ، الذين جعلهم رعاة الدين ، ونظام المسلمين ، فاستنجزوا موعود الله ونصره ، بمجاهدة عدوه ، وأهل معصيته ، الذين أرشدوا وتمردوا ، وشقوا عصا الطاعة ، وفارقوا الجماعة ، ومرقوا من الدين ، وسعوا فى الأرض فسادا ، فإنه يقول تبارك وتعالى : « إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم » فليكن الصبر معقلكم الذى إليه تلجئون وعدتكم التى بها تستظهرون ، فإنه الوزر المنيع الذى دلكم الله عليه ، والجنة الحصينة التى أمركم الله بلبامها . غضوا أبصاركم ، وأخفتوا أصواتكم فى مصافكم ، وامضوا قدماً على بصائركم ، فارغين إلى ذكر الله والاستعانة به ، كما أمركم الله ، فإنه يقول : « إذا لقيتم فئة فاثبتوا واذكروا الله كثيراً لعلكم تفلحون » . أيدكم الله بعز الصبر ، ووليكم بالحياطة والنصر » .

فأنت تراه قد أثار وجدانهم ، بما عرضه عليهم من الأفكار ليدفعهم إلى الجهاد .

وكما فى الآيات القرآنية التى ترمى إلى تحريك الإرادة مثل قوله سبحانه : « ولا تستوى الحسنة ولا السيئة ، ادفع بالتى هى أحسن فإذا الذى بينك وبينه عداوة كأنه ولى حميم » وكقول الشاعر

دببت للمجد والساعون قد بلغوا جهد النفوس وألفوا دونه الأزرا
وكابدوا المجد حتى مل أكثرهم وعانق المجد من أوفى ومن صبرا
لا تحسب المجد تمراً أنت آكله لن تبلغ المجد حتى تلعق الصبرا

وأكثر ما يحرك الأدب الإرادة من غير ان يأمرها بذلك ، كما فى الروايات التمثيلية الخلقية والاجتماعية ، وكما فى كثير من الشعر ، وربما كان هذا هو ما حدا الأقدمين إلى أن يوصّوا أولادهم بحفظه ودراسته ؛ بل ربما كان هو المعنى الذى لحظوه عندما وضعوا لهذا اللون من القول الجميل اسم الأدب . قال معاوية لابنه : « يابنى ، اروالشعر وتخلق به ، فلقد هممت يوم صفين بالفرار مرات فما ردنى عن ذلك إلا قول ابن الإطنابة :

أبت لى همتى ، وأبى بلائى وأخذى الحمد بالثمن الربيح
وإقدامى على المكروه نفسى وضربى هامة البطل الشيح
وقولى كلما جشأت وجاشت مكانك تحمدى أو تستريحى
لأدفع عن مكارم صالحات وأحمى بعد عن عرض صحيح

وأنت ترى الشعر نفسه لا يطلب إقداماً ، ولا يحث على ثبات ، ولكنه حديث عن هذا النزاع الذى دار بنفس قائله ، وهو فى ميدان القتال ، وكيف استطاع أن يثبت فى هذا الميدان ، يحمله على الثبات ماض ملىء بالجهاد ، وهمة تأبى النقيصة ، وقلب موكل باكتساب المجد ، ونفس اعتادت الإقدام على المكاره ، وضرب هامات الأبطال دفاعاً عن مآثره ، وحماية لعرضه . وليس فى الشعر سوى هذا ، ولكن معاوية رأى فى صاحبه بطلا جديراً بالاقتداء .

ومما قدمناه يتبين أن هذا الخلاف على أن الإصلاح الاجتماعى من أهداف الأدب خلاف ظاهرى ، يزيله تحديد معنى الأدب ، وتحديد مجاله ، أما وقد قلنا : إن كل ما فى الحياة يصلح أن يكون موضوعاً للأدب ؛ على أن يتناول من ناحية إحساس الأديب بما فيه من جمال أو قبح ، فلا ضير على الأديب إذاً أن يتناول مسألة خلقية أو اجتماعية يعالجها ، أو أن يدعو إلى فضيلة أو ينهى عن مأثمة ، على شريطة أن يكون ذلك من تجاربه ، وأن يثير فينا الوجدان ، فيرضى فنعمل ، أو يكره فنكف .

الأديب حر فى أن يتناول ما يشاء من تجاربه ، من غير أن نضع له خطة ينتهجها ، وكل ما نطالبه به أن يرسم لنا شعوره ؛ ولقد ترى من الأدباء من أحس بجمال المشورة فمدحها ، كبشار بن برد إذ قال :

إذا بلغ الرأى المشورة فاستعن برأى نصيح أو نصيحة حازم

ولاتجعل الشورى عليك غضاضة فإن الخوافي قوة للقوادم

ومنهم من لم ير فيه جمالاً ، كعبد الملك بن صالح حين قال : « ما استشرت أحداً إلا تكبّر على ، وتصاغرت له ، ودخلته العزة ، ودخلتني الذلة ، فعليك بالاستبداد ؛ فإن صاحبه جليل في العيون ، مهيب في الصدور ، وإذا افتقرت إلى العقول حقرتك العيون ، فتضعضع شأنك ، ورجفت بك أركانك ، واستحقرك الصغير ، واستخف بك الكبير ، وما عز سلطان لم يغنه عقله عن عقول وزرائه وآراء نصائحه » . وكلا القطعتين من الأدب .

أما التعبير الإيحائي فليس من الأدب ، ولا الفن الجميل ، لأننا نعني بالإثارة ، تلك الإثارة الوجدانية الروحية الخالصة ، أما إثارة الغريزة الجنسية فليس من عمل الأدب ، ومثل هذا اللون من القول مثل الصور الخليعة الماجنة لا يعدان من الفنون الرفيعة .

أحمد أحمد بدوي

المدرس بكلية دار العلوم — بجامعة فؤاد الأول

طرائف من العصر المملوكي :

عبرتان من عبر التاريخ

للاستاذ محمود رزق سليم

هاتان عبرتان من عبر التاريخ — وكم فيه من عبر — فسوقهما إلى زعماء العرب وشعوبها ، في هذه الأزمة الخانقة والآونة الحاسمة التي يمرون بها أو تمر بهم . ولعل فيهما متعظاً ومعتبراً

في كل عبرة منهما نزل خطب ، وألمت شدة ، وحزبت ضائقة ووقف عدو لدود بالمرصاد .

أما في الأولى فقد التأمت الصفوف وتنادت الأصوات وتصافت النفوس ولمت الأيدي واجتمع الهوى ، حتى أصبح المسلمون — أو بعضهم — جبهة واحدة ، فردوا العدوان ودفعوا الطغيان وكانت عاقبتهم نصراً مؤزراً وغلباً مظفراً .

أما في الثانية فقد تغيرت القلوب وانتشر الشمل وتفرقت الأيدي ، وأضمر الغدر ، وحيكت الخيانة ، فكانت العاقبة خساراً ودماراً ، وشقوة وبواراً .

هما موقفان من مواقف الأمة المصرية وقادتها ، كان أولهما في مطالع العصر المملوكي ، وكان ثانيهما في أخرياته . يتمثل في الأول مزايا الإقدام والشجاعة ، وعواقب الحزم والعزم ، وفوائد الوحدة والتعاون ، بما يحق الحق ويصون الكرامة ، ويُبقي العزة ويؤثل المجد ، ويضفي المهابة . ويتمثل في الثاني مثالب الخور والجبن ، وعواقب التردد والضعف ، وغرم التفرق والخلف . بما يهدر الحق ويشيع الذل ويمكن للفساد ، ويصوح به نبت الحياة .

أقبل عام ٦٥٦ هـ يحمل في جعابه للأمم الإسلامية مهاماً مريبة ، وعلى مناكبه رماحاً مشرعة ، تنذر بالويل والثبور ، والهلاك والدمار . فها هم أولاء التتار قد نسلوا من أواسط آسيا بعد أن خربوا الديار وأباحوا الدمار ، بقلوب فاجرة ، وأفواه فاغرة وحب السفك تغلي به دماؤهم ، وتضطرب أعضاؤهم ، وقد هيئوا العدة ، وجمعوا الكيد ، فتجهم بهم وجه الأفق ، واربدت بهم صفحة السماء ، واكفهر جو الغدر وأرجف المسلمون في كل مصر أن حدثا جللا سيقع . فتدافعت سيول التتار إلى بغداد والعراق ، بعد أن خلفوا وراءهم أمماً باكية وشعوباً ممزقة وعروشاً مثلولة فأنهوا ببغداد فصول روايتهم ، وأزالوا من سمائها شمس الخلافة العباسية ، وأثخنوا في أهلها ما شاء لهم الغرام والشراسة وحب السفك والفتك .

تسامع الناس بأخبارهم في ديار حلب والشام ومصر ، وأخذت الفرائص ترتعد هلعاً وفزعاً تترقب هبوط هذا الوباء التتري آونة وأخرى . وكانت ديار حلب والشام مقسمة دولا صغيرة متنابذة متعادية متوائبة يحكمها بقايا من أمراء بني أيوب . بينما كانت مصر قد تأثل فيها المماليك دولة عتيدة وسلطنة مجيدة جهد مؤسسها عز الدين أيبك في توطيد دعائمها وتثبيت أركانها منذ عام ٦٤٨ هـ . ثم خلفه ابنه المنصور ، وكان حدثاً صغيراً ، فأقيم الأمير « قطز » المعزي مملوك أبيه نائباً لسلطنته وفوضت أمور الدولة إليه . وكان على دمشق أمير من الأيوبيين اسمه الناصر ، ترددت الأطماع في نفسه أن يدهم مصر ويستأثر بملكها . فلذلك كان بينه وبين سلطان مصر دخل وجفاء . وبينما كان الناصر بين الخوف والطمع إذ وافته رسل « هولاكو » التتري تطالعه برسالته التي يهدده فيها ويتوعده ، ويدعو إلى الدخول في طاعته . وبين سطورها

يخاطبه ويقرو . « إذا وقفت على كتابى هذا ، فسارع برجالك وأموالك وفرسانك إلى طاعة سلطان الأرض شاهنشاه روى زمين ، تأمن شره وتنل خيره . كما قال الله تعالى فى كتابه العزيز : « وأن ليس للانسان إلا ما سعى ، وأن سعيه سوف يرى ، ثم يجزاه الجزاء الأوفى » . ولا تعوق رسلنا عندك كما عوقت من قبل فإمساك بمعروف أو تسريح بإحسان . وقد بلغنا أن تجار الشام وغيرهم انهزموا بأموالهم وحريمهم إلى « كروان سراى » ، فإن كانوا فى الجبال نسفناها ، وإن كانوا فى الأرض خسفناها .

أين النجاة ولا مناص لهارب ولى البسيطان الثرى والماء
ذلت لهيبتنا الأسود وأصبحت فى قبضتى الأمراء والوزراء

فغُزعت أحشاء الناصر ، وسُكت ركبتاه ، وسقط فى يده ولم يدر ما يصنع . فأرسل إلى « قطز » يستجديه معونة مصر ، بعد أن كان طامعاً فى ملكها وكان « قطز » قد شعر بالخطر القريب ، وفطن إلى الشر المرتقب فأخذ يعد للأمر عدته ، ويتخذ له أهبته . وتحيل حتى خلع سلطانه « المنصور » وقفز بنفسه إلى سرير الملك ، ليكون طلق اليد حر الإرادة فى تدبير الأمور ، فى هذا الوقت الحرج والموقف الشائك . غير أن وثوبه إلى العرش قد أحقد بعض الأمراء عليه وأحنقهم ، فتجهموا له ، وهموا به فأخذ يترفق بالثائرين حتى هدأ من ثورتهم ، ويتلطف بالحانقين الحاقدين حتى فلل من حنقهم وثبط من حقدهم ، واعتذر إليهم بأنه لا مأرب له فى ملك أو سلطان ، ولا مطمع فى عرش أو تاج وإنما همه الأول أن يكونوا يداً على من سواهم ، وأن يدفعوا عن أنفسهم وديارهم خطر التتار ، الذين ما دخلوا قرية إلا أفسدوها ، ولا مصراً إلا جعلوا أعزة أهله أذلة ، ولا بلداً إلا عبثوا بتراثه ، أولئك التتار الذين ضجت لهم الأرض وملئوا فجاجها بالدماء ، وعُرفوا بأنهم القوة التى تغلب ، والوباء الذى لا يستطاع كفاحه .

ويذكر بعض المؤرخين أن هذا السلطان « قطز » هو محمود ابن ممدود ، وأنه ابن أخت جلال الدين شاه خوارزم الذى أباد التتار ملكه وعفوا أثره . وقع محمود هـذا فى الإسار ، وتنقل به ذله من دار إلى دار ، حتى دفع به القدار إلى مصر ، فابتاعه سلطانها « المعز أيبك » فاستأثر برقه . وكان حبيباً إلى قلبه قريباً إلى مجلسه ، أثيراً عند تدبيره . فعلا نجمه ، وزكت فيه مخايل الإمارة ، وروى فى أعماقه صوت الثار وصلصل جرس الانتقام فما هو إلا أن ملك الناصية وأخذ بالزمام ، حتى قاد أمراءه وجنوده بعقاد الحزم وذكرهم بواجبهم المقدس حيال الاسلام ، وأنهم إن أحجموا باد . وإن أقدموا سياد . وهاهم أولاء يرون دوله تسقط فتبيد واحـدة إثر أخرى . فراعهم بهذا الخطاب ، وملكهم بمنطقه الخلاب ، فألقوا إليه السلم ، وتوافدوا إلى حظيرته زمراً زمراً ، بعد أن بت فيهم عزماً من عزمه ، وحماساً مما يتقد فى جسمه .

تطايرت الأخبار منذ أوائل عام ٦٥٨ هـ إلى مصر ثوب التتار على حلب ودمشق وغيرهما من بلاد المسلمين ، وما اجترحه أولئك الطغاة فيها من قتل وسبي ، وسلب ونهب ، وتخريب وتدمير وتشريد ، وظلم وجور ، وعجت التخوم والمسالك بالفارين واللاجئين من وجه البغى والعدوان .

وجاء النذير إلى مصر ، ووفدت إليها رسل هولاكو — بعد أن أسر الناصر وخرّب دياره — ومعهم رسالة إلى سلطانها يقول فيها : « من ملك الملوك شرقاً وغرباً ، القان الأعظم . باسمك اللهم باسط الأرض ورافع السماء . يعلم الملك المظفر قطز ، الذى هو من جنس المماليك الذين هـربوا من سيوفنا إلى هـذا الإقليم ، يتنعمون بأنعامه ، ويقتلون من كان بسلطانه بعد ذلك . يعلم الملك المظفر قطز ، وسائر أمراء دولته وأهل مملكته ، بالديار المصرية وما حولها من الأعمال ، أنا نحن جند الله فى أرضه ، خلقنا من سخطه ، وسلطنا على من حل به غضبه ، فلكم بجميع البلاد معتبر ، وعن عزمنا مزدجر ، فاتعظوا بغيركم ، وأسلموا إلينا أمركم ، قبل أن ينكشف الغطاء ، فتندموا ويعود عليكم الخطأ فنحن ما نرحم من بكي ، ولا نرق لمن شكا . وقد سمعتم أننا قـد فتحنا البلاد ، وطهرنا الأرض من الفساد ، وقتلنا معظم العباد . فعليكم بالهرب وعلينا بالطلب . فأى أرض يأويكم ، وأى طريق تنجيكم ، وأى بلاد تحميكم ؟ فما لكم من سيوفنا خلاص ، ولا من مهابتنا مناص ، خيولنا سوابق ، وسهامنا خوارق ، وسيوفنا صواعق ، وقلوبنا كالجبال ، وعددنا كالرمال » ... الخ .

حزم « قطز » رأيه وشاور أمراءه ، فأيقنوا جميعاً بالخطر

الداهم والشر المستطير . وأنهم إن لم يأخذوا الطريق على عدوهم بقلب شجاع ونفس مقامرة وروح فادية ، دهمهم فى عقر دارهم ، وأزال ملكهم ، وخرب ديارهم ، وهم البقية القوية من جند الإسلام . ولهم عبرة بما اجترح التتار فى الشام والعراق والجزيرة وأواسط آسيا . فقر رأيهم على قتل رسل « هولاكو » وعلقوا رءوسهم على باب زويلة ، وأعلنوا فى الناس بالجهاد ، والخروج فى سبيل الله ، دفاعاً عن النفس والعرض والدين . وأعجل الجنود عن شئونهم ، ودُبر المال ؛ ورأى السلطان تواكل بعض الأمراء ، فقرعهم تقريعاً شديداً ، وقال لهم . « يا أمراء المسلمين انكم زمان تأكلون أموال بيت المال ، وأنتم للغزاة كارهون . وأنا متوجه ، فمن اختار الجهاد يصحبنى ، ومن لم يختر ذلك يرجع إلى بيته . فإن الله مطلع عليه . وخطيئة حريم المسلمين فى رقاب المتأخرين » فأقبل الأمراء عليه يقسمون له يمين الطاعة والولاء .

نفر جيش مصر بعدده وعدده ، يتقد حماسة ويفيض رغبة فى القتال وعلى رأسه سلطانه « قنطز » الشجاع الباسل الصنديد . يحث به أمراء باعوا نفوسهم لله ، يحدوهم الولوع إلى لقاء التتار ، فإما حياة كريمة ونصر مؤزر ، وإما موت لا يقاس به موت .

وهناك فى عين « جالوت » بفلسطين ، التقى الجمعان فى معركة حامية سالت فيها أنهار الدماء ، وتجمعت أكداس الأشلاء . ولما اشتد وطيسها على المسلمين صرخ « قطز » من الأعماق قائلا : « وا إسلاماه » فدوى صوته فى آذان جنوده . وكأنما كانت صرخته إشارة بالكر ، أقدموا لا هيبة ولا وجل ، وأخذوا التتار من كل جانب حتى قتل قائدهم « كتبغا » وولت فلولهم لا تلوى على شىء . فتبعهم المسلمون إلى « بيسان » فدارت بها رحى معركة جديدة ، دحر فيها التتار وأسلموا للفرار ، تاركين من ورائهم قتلى قد ضاق بها الفضاء .

استطاع جيش مصر وحده بهاتين الوقعتين أن يحمى بلاد الشام من شر التتار ، وأن يقذف بهم إلى غير رجعة بعيداً عن أرض مصر ، فلم تطأها لهم قدم . وتعتبران نقطتى تحول حاسم فى تاريخ مصر لا تقلان فى أهميتهما عن موقعة « العلمين » فى الحرب الأخيرة . وبدت بهما قوة التتار خرافة لا سند لها ، وأن التغلب عليها مستطاع ، متى صدق الإيمان ، واجتمع الصبر والتعاون ، واتحدت القلوب . وقد عاشت سلطنة المماليك بعدهما بفضل شجاعة « قطز » وموقفه الرائع ، أكثر من قرنين ونصف .

أما فى الموقف الثانى فقد كان فى عام ٩٢٢هـ على عهد سلطان مصر قانصوه الغورى ، الذى اقتيد إلى العرش بين بكائه ونحيبه رهبة وإشفاقاً من المصير . فقد كانت البلاد مزقتها الفتن الداخلية والحروب الأهلية ، ولج بين بنيها الخلاف ، وصنع بهم ما يصنع السيف . وخوت خزائنها على عروشها . ولم تعد بها إلا حثالات وشراذم من أمراء وجنود ، تملأ كل شرذمة العصبية لنفسها ، وحب الجهاد لنقمتها ، غير آبهة لسواها إلا مزاحمة ومجالدة ، ولم يعد يعنيهم من شئون البلاد شىء إلا استغلالها . بينما كانت دولة العثمانيين فى آسيا الصغرى تبسط سلطانها وتنشر طغيانها . وما وافى عام ٩٢٢ هـ حتى أخذت تمهد لغزو الشام ومصر . ووطئت أنباء استعدادها آذان البلاد . فاضطر الغورى إلى الخروج عن البلهنية والطمأنينة ، إلى العمل على اللقاء . وشرع يجمع القادة والجند ويحثهم على التهيؤ للخروج إلى الجهاد ، فكان كأنه يستجديهم شيئاً لنفسه ، لا أنه يتقاضاهم القيام بواجبهم . لذلك اثاقلوا عنه ولم يخفوا إليه . وكان كل ما حوله يخذل عن القتال ويثبط عن النفور إليه إلا بقية ممن لا تزال بهم بقية من ضمير ، وقبس من إخلاص ، وإثارة من كرامة .

وكانت بالسلطان غفلة لا تنبغى لمثله فى وقت شدة وضيق ، وكلما وردت أخبار تومى إلى الصلح والتراضى بينه وبين العثمانيين هش وبش ، وهلل وكبر ، وفرح واستبشر . ولعله كان يرى من وراء ذلك إلى حسم العداء وحقن الدماء ، ولاسيما أن العثمانيين إخوان فى الدين . ولكن اللهج بالصلح ضعف ، واشتهاء الموادعة خور ، والاستسلام للعافية جبن .

وكانت تجيئه رسل السلطان سليم فيهرونه باللسان المعسول ، والهدية النفيسة ، فيلقاهم لقاء الحافل ، ويعانقهم عناق الخليل ، وما كانوا إلا ليمهدوا للظفر بالغافلين . وبث العثمانيون العيون لينقلوا إليهم أخبار مصر وجيشها الباسل وسلطانها المغوار ، فلم يعمل أحد على قطع دابرهم والقضاء عليهم ، وبعث نائب السلطان بالشام إليه يجأر بالشكوى مما بالشام من غلاء فاحش وجدب ضارب ، ويذكر أن للعثمانيين رغبة فى القتال ، ويدعو السلطان إلى القبوع والقعود .

ومهما يكن من شىء فقد أنصف السلطان نفسه ، وأعد العدة

وأنفق المـال ، وجمع الجند وعين القادة ورتب أمر الخروج إلى الشام للقاء بنى عثمان . وهو لا يعلم أن العثمانيين قد اتصلوا ببعض أمرائه فوجدوا منهم نفوساً هزيلة وقلوباً عليلة لا تكبر الأمانة ، وتستعذب الخيانة فى سبيل المطمع غير المشروع ...

خرجت مواكب الجيش تترى ناسلة إلى دمشق فحلب ، وعليها طلاوة وبها خيلاء ، يحسب من يراها أنها إلى النصر تسير وإلى الغلب تطير . وهو لا يعلم أنها تجمع قوماً إن لم يمزقهم الضعف فقد فرقهم الخلاف ، تحسبهم جميعاً وقلوبهم شتى ، عمادها فريقان من المماليك هما « الجلبان والقرانصة » ، وبينهما عداء مستحكم اضطرمت ناره وتطاير شراره ، وقد تمكن منهم الفساد وحب العناد .

لا نريد أن نسهب إسهاباً تاريخياً فى وصف مظاهر الضعف فى الجيش المصرى ، ولا فى أنباء قتاله حينذاك ، فقد امتلأت بهذه الأنباء بطون الموسوعات .

وحسبنا أن نذكر أن هذا الجيش — على علاته — اتى جيش العثمانيين على كثرة جنده ووفرة عدده ، فكاد يذهبه بدداً ويفرقه طرائق قدداً ، وذلك فى موقعة « مرج دابق » لولا أن أطلت الخيانة بقرونها ، وطلع الغدر عليه مطلع الشيطان . فانحاز بعض القادة عن سلطانهم بلا سبب ، ودبت الوقيعة بين القراصنة والجلبان فشغلتهم أنفسهم عن واجبهم ، فكر العثمانيون عليهم وطعنوا القلب ، وفيه السلطان يدافع عن شرفه وكرامته ، وقد أسفه تفرق الأنصار عنه ، وفرار الأصحاب منه . فاضطرب لبه ، وامتلأ بالحسرة قلبه . وفلج لوقته وتهاوى عن متن جواده وتناولته سنابك الخيل . ودارت الدائرة على جيش مصر ، ورجعت إليها فلوله باكية حزينة .

وتعتبر موقعة « مرج دابق » المشئومة من الواقع الفاصلة فى تاريخ مصر . فتحت أمام العثمانيين الطريق إلى غزوها وتمام إخضاعها . وهكذا جعت مصر والشام أمام الغزاة ، ووقعتا فريستين سهلتين لهم ؛ فلبثوا بهما زهاء ثلاثة قرون تعسة شقية ، لم تسعدا فيها بيوم هناء .

محمود رزق سليم
مدرس الأدب بكلية اللغة العربية

ظهر حديثاً كتاب :

الحركات الاستقلالية فى المغرب العربى

للأستاذ

علال الفاسى

العضو المراسل لمجمع فؤاد الأول للغة العربية

أول كتاب فى نحو ٦٠٠ صفحة يسجل المقاومة المغربية الدبلوماسية والعسكرية والسياسية ، ويشرح تطور الوعى القومى فى كل من تونس والجزائر ومراكش ، ويوجه العالم العربى نحو وعى جديد وميثاق حر للرجل العربى .

الثمن ٥٠ قرشاً أجرة البريد ٨٣ مليم

ويطلب من مكتبة النهضة المصرية بشارع عدلى باشا بالقاهرة

ومن المكتبات الشهيرة

حديث إلى العرب*

للأستاذ عبد المنعم خلاف

يتزعم الحديث ، ومؤامرة الدول الكبرى على فلسطين العربية تتكشف ، ونوايا الأمم الغربية الكبيرة والصغيرة ومواقفها من الصهيونية والعرب تتضح وتتفتح ، ويظهر خبيثها المستور ، وقد فقد العرب جميع أصدقائهم تحت ضغط المصالح التي في أيدي الدول الكبرى ، والقضية الفلسطينية تجتاز دورها النهائي ، بعد أن أوشك أن يتم الاتفاق الدولي على تمزيق فلسطين وتقسيمها والاعتراف بإسرائيل دولة الإرهاب ، وجميع التيارات الظاهرة والخفية في اللجنة السياسية التابعة لهيئة الأمم ، كلها تتجه اتجاهاً واحداً وهو اثنين : هما أن لليهود الحق في إقامة دولتهم ، وأن تكون الدولة دولية يعين عليها حاكم من قبل هيئة الأمم المتحدة ، وأن تتولى لجنة توفيق معينة من قبل الهيئة تحديد تخوم تلك الدولة ، ويكون الباقي للعرب . وسواء اتصل العرب بهذه اللجنة أم قاطعوه ، فهي ستمضي في مهمتها على ضوء ما تسفر عنه قرارات اللجنة السياسية أو هيئة الأمم .

ولم يكن — كما ترون — لعبث اليهود المتكرر بالهدنة ، ولا لتشريدهم مئات الألوف من العرب الآمنين ، ولا لقتلهم وسيط هيئة الأمم ، ولا لافتضاح المؤامرة بينهم وبين الشيوعيين التي تبتت بالوثائق والدلائل الفاطعة ، ولا لاعتدائهم المتعمد على مقدسات المسيحية والإسلام ، أي تأثير في تغيير سياسة هيئة الأمم وعلى الأمن نحوهم ، بل بالعكس كلما زادوا إمعاناً في انتهاك الحرمات ، وإقبالا على تحطيم كرامة الهيئة ، زادتهم تأييداً وتدليلا .

أما العرب ، فقد تلقوا هذه المؤامرات والمكايد بصبرهم المعهود ... فوفودهم لا تزال تجادل وتكافح في المجال السياسي الدولي بدون جدوى ، وجيوشهم لا تزال تحترم الهدنة ، وشعوبهم لا تزال تنتظر ما تستقر عليه قرارات حكوماتهم بعد انكشاف المؤامرة ، ولم يكن هذا النضج السياسي لدى العرب الذي أوشك أن يتحول إلى احتراق وخمود ، أي تأثير في المجامع الدولية والضمير العالمي الحر بمقدار ما كان لأفاعيل اليهود واعتناقهم مبدأ الاعتماد على الأمر الواقع والتمهيد به إلى تحقيق آمالهم والتدرج به نحوها خطوة خطوة .

ولقد أعذر العرب بصبرهم إلى العالم أجمع ، وسواء كانوا محمولين على صبرهم هذا ، كما يحمل على السقم السقيم ، خضوعاً للضرورات ، وتفادياً من الوقوع في شرك المؤامرات الدولية التي تتمنى أن يزلوا ويخطئوا لتحكم عليهم ومعها الحجة بإدانتهم ، أم كان صبرهم هذا طبيعة فيهم ونضجاً خلقياً وسياسياً منهم ، وجنوحاً للسلام حين يدعو داعيه ، ولو كانت دعوته خداعاً ... سواء أكان هذا أم ذاك ، فقد وضح الصبح لعيونهم ورأوا على ضوئه كرامتهم المهانة ومراكزهم الدولي الممتهن ، وصبرهم المتهم بالضعف والعجز والبلادة ، ومثلهم العليا التي لا تقدر لها ، وكيدهم المهملة التي لا وزن لها ، وفشل هذا الدور من كفاحهم السياسي فشلا ذريعاً لا يمكن نكرانه ولا التهوين من نتائجه .

والسؤال الآن الذي يتردد على فم الدنيا هو : ماذا يفعل العرب بعد ذلك كله ؟ هل يريدون أن يحيوا أم يريدون أن يفنوا ؟ هل يطيلون الصبر على هذه النظرة العالمية الظالمة إليهم ، أم يردون إلى أنفسهم اعتبارها ويثبتون وجودها ؟ هل يريدون أن يبقوا على عدوهم في ديارهم ليجلب عليهم بخيله ورجله ، وليكون لهم عدواً وحزناً ونحساً ورهقاً وخبالا ، أم يقضون عليه وفي أيديهم روحه قبل أن يستفحل شره ، ويستحيل ذئبه الخسيس إلى أسد شجاع؟

هل يعلمون ويعقلون أهدافه الواسعة الطامعة في بلاد العرب كلها من النيل إلى الرافدين ، وما بعدها ، وأحلامه في محو أهلها وتحويلهم إلى عبيد وحيوانات بشرية ، وزرعها كلها يهوداً ، أم يغفلون عن هذه الأهداف ولا يدركون مداها ويحسبونها قاصرة على فلسطين الصغيرة وحدها ؟ !

---

(١) ألقيت من محطة الإذاعة اللاسلكية المصرية في مساء أول ديسمبر سنة ١٩٤٨

لئن شاء العرب لحولوا سم السرطان الصهيوني الذي فرضته عليهم القوى الشوم ترياقاً يوقظ باسمائه وموجماته قوى الكفاح الكامنة في كيانهم المعنوي والمادي ، ويثير فيهم حمى الحقد والثأر وعجازاة الشر بالشر وعزائم المقاومة التي خدروها وأناموها في عالم لا تنام فيه لقوى الشر والبغي عين !

أجل ... إن شاء العرب ، كان في هذا الشر الجديد ميلاد لقوى جيوشهم الحديثة وحرية اقتصادياتهم الوفيرة ، وكان فيه دفع حثيث لهم إلى السباق الدائم بين الأمم نحو العلم المادي الذي يعتمد عليه عدوّنا ، ويسرع إلى استغلال أسراره ، يتخذ منها أسلحته وخيوط شباكه حديثاً كما كان يسرع إلى استخدام السحر والجن قديماً ، كما ورد في آثاره ...

وإن شاءوا كان فيه دافع عنيف إلى توحيد قلوبهم توحيداً حقيقياً ، يولده الدم المتحد ، والعقائد المشتركة ، والمصالح المشتركة ، والأخطار المشتركة ، فلم يعد هذا الزمن يحتمل تفرق كلمتنا وعيشة دولنا عيشة القبائل التي لا تجمعها وحدة متينة ، وليصيبن بغداد وعمان والقاهرة وبيروت ودمشق ومكة وصنعاء وغيرها من عواصم العرب ما أصاب القدس وحيفا ويافا إذا قالت كل أمة أو حكومة فيها : نفسي ... نفسي ... وحسب كل جيش من جيوش العرب أن نصره أو هزيمته له وحده !

وهذا التوحيد الحق للقلوب والجهود في جميع أقطار العرب ، هو السلاح الضروري الأول الفعال الذي لا جدوى لأي سلاح بدونه ، وما أتى العرب ولا أصابهم ما أصابهم للآن إلا من تفريطهم في هذا السلاح . فعلى الشعوب العربية أن تدفع زعماءها وقادتها ، إذا ترددوا ، على هذا التوحيد دفعاً لا هوادة فيه ولا تباطؤ ، فإن الحرب بيننا وبين أعدائنا حرب في كل لحظة ، وعلى كل ثغرة ، وفي كل ميدان ، ومن كل فرد ، فدولة إسرائيل المزورة ، إذا قامت ، ستكون كلها معسكراً يعمل فيه النساء والرجال والكبار والصغار ليل نهار ، ويمده بالأخبار والأسرار ، وينفذ خططه طوابيره الخامسة في كل بلد عربي محيط به ، والصهيونيون يعلمون مقدماً ما يبيته لهم العرب وما توعدوهم به من خنق عسكري واقتصادي وسياسي ، ولذلك سيعملون بنفوذهم الذي لا ينكر في العالم وفي البلاد العربية على إحباط ذلك إذا لم نتيقظ لهم ، وسيكون أول عمل لهم هو إفساد ذات البين في علاقات الشعوب العربية داخلها وخارجها ، وضرب طبقاتها وأحزابها بعضها ببعض عن طريق الدعوات الاقتصادية والعمالية ، وإفساد عزائم الشباب وقوامه باضرام الشهوات وشغلهم بها عن آفاق مجدهم وكرامتهم ، وعما يبيت لمستقبل أوطانهم وعقائدهم . والصهيونيون لم ينالوا ما نالوه من نفوذ بالغ في العالم ، ولم يصلوا إلى ما وصلوا إليه إلا بشعورهم بجنسهم المشترك وهدفهم المشترك وتوحيد قيادتهم وتدبير خطتهم ، وتوزيع رجالهم على المعسكرات العالمية المختلفة ، وصدورهم كلهم في جميع أنحاء العالم عن رأي واحد وقلب واحد . ولا شك أنهم لم يكونوا لينالوا ما نالوه ، لو أنهم افترقت قلوبهم ونخاذلت قواهم وشكوا في قادتهم . فإذا أراد العرب أن يخنقوا دولتهم ، فلا سبيل إلى ذلك إلا بدوام إذكاء الشعور بوحدة العرب ، وبإيقاظ كل فرد إلى أداء واجبه في ضرائب الدم وضرائب المال ، وتضحية الصغائر والكماليات ، حتى يتغلب الجسم العربي على سموم هذا السرطان !.

وإذا كان الصهيونيون يحاولون أن يسرقوا وينغصبوا ديارنا ، لأنهم يدركون أهميتها وقيمتها المادية والمعنوية لهم ، فأولى بنا ، ونحن وارثوها والمالكون لها ، أن يكون دفاعنا عنها أضعاف هجومهم عليها !

أجل ... أولى بصاحب الدار أن يقاتل أضعاف قتال اللص ، فلا يكون اللص أعرف منه وأكثر تقديراً لممتلكاته وأشد حرصاً على اقتنائها وإذا كان هذا هو المعقول والواجب في الدفاع عن دار ومتاع خاص ، فإنه أكثر وجوباً في الدفاع عن الأوطان والمقدسات والحرمات . واليهود يدفعون دماءهم وأموالهم وجهودهم راضين مغتبطين ، لأنهم يشترون بها وطناً وأملا وتاريخاً مزوراً مفقوداً ، منذ ألفي سنة ، فأولى بنا ونحن نملك الوطن والأمل والتاريخ ألا نضيعه ، وإلا كنا غير جديرين به ولا بالحياة . ومعاذ العرب أن يرضوا لأنفسهم وأمجادهم أن تفنى ، ولكرامتهم أن

تهان على هذه الصورة وعلى رؤوس الأشهاد فى أشد قضايا التاريخ ظلماً وبهتاناً !

وإن الجامعة العربية لتهيب بالشعوب العربية وتنادى كل فرد عربى أن يجند نفسه ويثير جميع قوى الكفاح التى ترسب خائرها فى دمه للدفاع عن مثله العليا وأوطانه وكرامته ، وهو الذى لا يتام على ثأر ولا يرضى بضيم ، فما بالهين على العربى أن يرضى لكرامة شعوبه ودوله السبع أن تداس فى مجتمع الدول لإرضاء طغمة من الإرهابيين أعداء البشر بإقامة دولة ملفقة لهم فى أعز بقاعه عليه ، وفى مهد المسيح الذى عبد قلوب البشر للسلام ، وكانت دعوته وروحانيته وحياته كلها رداً على مثل اليهود وأخلاق اليهود ومادية اليهود ، الذين يريدون أن يقيموا دولتهم على أرض مهده ، بعد أن طردت روحه منها « رأس الأفعى اليهودية » وشردتها .

وإن ما لدى العرب الآن من قوى معنوية ومادية راهنة ، تتزايد على مر الأيام ، لكفيلة إذا صمم العرب وتيقظوا وعملوا ، أن تحطم هذه الأفعى ، مهما تألبت لنصرتها قوى الشر والظلم ، وإن أصوات شعوب العرب وساستهم ورجال حكوماتهم قد أصبحت كلها تتنادى فى كل قطر بوجوب استئناف الكفاح فى الميادين كلها وتعبئة القوى جميعها . وقد تساوى رأى المتطرفين والمعتدلين فى البلاد العربية فى وجوب أخذ الأمر باليقظة والعمل الدائم والكفاح المستمر ، بعد أن تكشفت الرغوة عن الصريح فى سياسة الأمم المتحدة !

دعونا من حديث الماضى ومسئولياته ، فإنه حديث يبلبلنا ويفرقنا ، ولننظر شعوباً وحكومات إلى الحاضر والمستقبل بروح السخط والاحتقار لروح الغرب وضميره ومنظماته التى سمحت لنفسها أن تمكن للسارق فى دار المسروق ، مما لم يحدث له مثيل فى التاريخ ، ولنتفاءل ونأمل ولا نيأس من روح الله ، ولكن تفاؤلا غير غافل ولا آبه فى هذا الصراع الذى ربما يطول ، ولنحذر حرب الإشاعات الكاذبة التى هى من أسلحة عدونا ، ولتكن شعارنا : هو الإيمان بحقنا ، والإصرار عليه ، والعمل على نواله بكل قوانا المادية والمعنوية !

عبد المنعم خلاف

شاعر وعصفور

(فى أحد الأيام استفاق الشاعر من قيلولته ، على صوت عصفور صغير دخل غرفته ، وراح يدف بجناحيه على أرضها وهو يحاول الطيران . فآواه الشاعر عنده أياماً ريثما قويت جناحاه ثم أطلقه . وقد أوحت له هذه الحادثة القطعة التالية) :

أهلاً بعصفور صغير لاجىء ... قذفت إلىّ به يدُ الأقدارِ
ما ذا أتى بك يا صغير لغرفتى ... أحسبتنى طيراً من الأطيار
هل أمك البلهاء للطيران قد ... ساقتك لكن قبل حين مطار
كم ذا ترفُّ لكى تطير مسارعا ... والمر منتظرٌ بأرض الدار
فاشكر إلهك إذ هداك لساحتى ... فكفاك عطف الوالدين جوارى
وحللت من كنفى بعش آمن ... أسمى وأمنع من ذرا الأشجار
لك من خيالى إذ تطير مرافق ... ومتى صدحت أجبت بالأشعار
أرفقت لى فأتيت تؤنس وحشتى ... يا ألطف الخلان والزُّوَّار
حسبى وحسبك جو شعر آمنٌ ... فالجوُّ ممتلىء من الأخطار
عجباً كلانا طار قبل أوانه ... ونأى الطموحُ بنا عن الأوكار
فبدأت بالأسفار مثلى يافعاً ... وأنا بلغت نهاية الأسفار
فوقانى الله الوحوش أناسياً ... ويقيك ربك كل طير ضارى
سرّن جناحك فى فنائى طائراً ... ثم انطلق لتطير دون عثار
لا تخش من أسرى ففيه لك البقا ... ما إن ترى حرية كإسارى

(دمشق)

أحمد الصافى النجفى

حب المنطق

(مهداة إلى الصديق الكريم الأستاذ ثروت أباظه)

تعشقتها حسناء يحرس حسنها ... وتحمى جناها حارس من ضميرها
يرفُّ ضياء النُّبل فوق جمالها ... ويأرج عطر الطهر فوق عبيرها
لقد أقبلت تختال فى ثوب عفة ... فيا حسنه ثوباً سما عن حريرها
إذا ضمّنا صفوُ اللقاء تمثلت ... لعينى ملاكا من سمو شعورها
فأسهل من كأس يضاعف نشوتى ... شمائل ساقيها ولطف مديرها

نوفيق عوض

الصداقة فى رأى ابن المقفع

للشيخ محمد رجب البيـــومى

(بقية ما نشر فى العدد الماضى)

فى رأيى أن تشدد عبد الله فى اختيار رصفائه قد جعله فى جنة وارفة من إخوانه ومحبيه ، فكانوا قرة عينه وبهجة فؤاده ، يهيم بأحاديثهم ويهيم بأخبارهم ، ولم يؤثر عنه أنه ارتاب يوماً من الأيام فى أحدهم فظن به الظنون ، وهذه مزية التحفظ الشديد ، ونحن نسمع فى كل مكان من يندبون الوفاء ، ويبكون النبل فى الحياة ، زاعمين أن الصداقة سراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء حتى إذا جاءه لم يجده شيئاً ، فكل قرين يشكو من قرينه فى الكثير الأغلب ، وسبب هذه الضجة المفتعلة ، أننا لم نفهم الفرق الواضح بين الصداقة والصحبة ، فإذا صاحب إنسان زميلا وقدم إليه بعض المعونة الأخوية ، ثم وجد منه نفوراً لا ينفق وما أسلف إليه من نفع ، قام يندد بضياع المروءة والوفاء وأولى به أن يندد بنفسه ، إذ لم يختر من يجزيه الإحسان بالإحسان ، بل عمد إلى طينة سنجة ، فغرس فيها بره ثم تعهده بالرى فمات الزرع ، وجف الماء ، ولو أنه غرس معروفه فى تربة مختارة منتقاة ، لآتت أكلها ولم تنقص منه شيئاً ، ولأبصر نفسه — كابن المقفع — فى جنة مورقة فيها ما تشتهيه الأنفس وتلذ الأعين ، ولكن فاته ذلك فى حينه فهب من فوره يبكى المروءة ويندب الوفاء !! . . لا يا هؤلاء ...

ونحن نعلم أن الأديب أو الفيلسوف أو كل ذى موهبة فنية ، فى حاجة ماسة إلى من يجاذبه أطراف الحديث ، ويخوض معه فى شتى الأبحاث ، ولقد تألقت فى عصر ابن المقفع كواكب لامعة فى سماء الأدب ، وكانت صلته بها صلة مودة وحب ، فهو صديق الجميع يؤثرهم ويؤثرونه ، وأنت تعجب كل العجب حين تراه يجمع بين صداقة المتناصرين والمتباغضين ، فهو صديق حماد وبشار ووالبة وإبان ومطيع ، ولا ريب أن عبد الله كان يلاقى كثيراً من الإرهاق والعنف فى التوفيق بين أمزجة متباينة ، ونفوس متصاولة ، وكنت أسأل نفسى مراراً ألا يكون الجمع بين صداقة الأضداد مما يحدث لديهم الريبة فى نفس عبد الله ؟ وهل يطيب لبشار مثلا أن يبوح بسره لصاحبه وهو يعلم أنه صديق حماد ؟ سؤال دقيق يتطلب إجابة دقيقة ، وكأنى بابن المقفع وقد أدرك تمام الإدراك ، فأجاب عنه فى ملاطفة هادئة حيث قال « وإذا رأيت صديقك مع عدوك فلا يغضبنك ذلك ، فأنفع مواطنه لك أقربها من عدوك لشر يكفه عنك أو لعورة يستترها منك ، أو غائبة يطلع عليها لك ، فأما صديقك فما أغناه أن يحضره ذو ثقتك » وهذا كلام مقبول من بعض نواحيه ، وإن كنا لا نميل إلى الأخذ به ، لأن كل خصيم من بنى الإنسان يسلق خصيمه فى غيبته وحضوره بلسان حاد ، وخاصة إذا كان من طراز حماد وبشار ، فلو أن ابن المقفع تصدى دائماً للدفاع عن أصحابه لثقل كثيراً على أعدائهم وما استطاعوا ذلك منه فى كثير أو قليل ، وما كان أغناه عن هذا المأزق الحرج ! على أنه — فى الواقع — لم يثبت على رأيه الأول فقد اتضح له تطرفه الزائد فأتى بما يناقضه حين قال فى موضع آخر « إن من علامة الصديق أن يكون لصديق صديقه صديقاً ، ولعدو صديقه عدواً ، وليس لى بصاحب ولا صديق من لا يكون لصديق محباً وإنه يهون على قطيعة من كان كذلك » وإذن فقد اتفق معنا الكاتب ، وتحلل من رأيه الأول ، بعد أن خطأه الواقع المرير .

ولقد كانت المجالس الأدبية — كما هى الآن — لا تخلو من نقاش حاد يتطاحن فيه الأصدقاء ، وكل يؤيد رأيه بما يسعفه خاطره ويرتاح إليه ضميره ، ولكن من الناس من لا يراعى حرمة الحديث ولا يصون كرامة الصديق فيندفع فى تنقصه اندفاعاً يخرج به عن حدود اللياقة والذوق ، وكان عبد الله يضيق بهذا الطراز من الأصدقاء منتهى الضيق ، ولقد كتب الفصول الممتعة فى أدب الحوار وطريقة الحديث ، فكان مرشداً حكيما لأصدقائه ومريديه . اسمعه يقول فى نصح وتوجيه « لا تلتمس غلبة صديقك والظفر عليه فى كل رأى ، ولا تجترئن على تقريعه بظفرك إذا استبان ، وحجتك عليه إذا وضحت ، فإن إخواناً قد يحملهم حب الغلبة وسفه الرأى فى ذلك على أن يتعقبوا الكلمة بعد ما تنسى ، فيلتمسوا فيها الحجة ثم يستطيلوا بها على الأصحاب ، وذلك ضعف فى العقل ولؤم فى الأخلاق » والناس هم الناس فى

كل زمان فما يشكو منه ابن المقفع أشكو منه الآن ، بل ربما وجد في زماننا من يفوق من تقدمه ، في مضمار التوقح والسفه ، فيختلق الرأي الدنيء اختلاقاً ، ثم ينسبه إلى غيره منده مشهراً ، وهناك قوم من المتناظرين لو اطلعت عليهم لوليت منهم فراراً ولملئت منهم رعباً ، فمتى يعتصم هؤلاء بحبل من الخلق القويم ؟ !

ويلوح لي أن الكاتب كان ملتهب الصدر من هذه الناحية — وحق له أن يلتهب — فلم يكتف بما سطره في الأدب الكبير والأدب الصغير مما فيه العبرة لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد ، بل عقد في « كليلة ودمنة » فصلا مسهباً يدور حول هذا الموضوع ، وقد جعل فيه اللسان أساس المصائب ، ومفتاح النوائب ، فهو يقذف بالكلمة الواحدة صغيرة ضئيلة فتبدد الشمل ، وتفرق الجمع ، وتوقد نار الحرب ، وأمام القارىء باب « البوم والغربان » ولحواه أن معركة حامية قامت بين الفريقين بسبب غراب طائش تكلم في حق البوم بما لا يليق ، وبعد أن فصل الكاتب قصته تفصيلاً منطقياً يستشرف إلى النتيجة الحاسمة ، عمد إلى هدفه الأصيل ، فقال على لسان بوم يتوعد الغراب الأحمق ، ويهدده بعاقبة لسانه ، وما جره على قومه من كوارث فادحة يتفجر لها براكين العذاب .

قال الكاتب الحكيم « اعلم أن السيف يقطع به الشجر فيعود فينبت ، والسيف يقطع اللحم ثم يعود فيندمل ، واللسان لا يندمل جرحه ولا تؤمن مقاطعه ، والنصل من السهم يغيب في اللحم ثم ينزع فيخرج ، والنصل من الكلام إذا وصلت إلى القلب لم تنزع ولم تستخرج ، ولكل حريق مطفىء ، فللنار الماء ، وللسم الدواء ، وللحزن الصبر ، ونار الحقد لا تخبو أبداً . وقد غرستم معاشر الغربان بيننا وبينكم شجر العداوة والبغضاء »

وأنت لو فتشت في كتب التربية والأخلاق ما وجدت توجيهاً أفضل من هذا التوجيه . وليت شعري من يبلغ مبلغ ابن المقفع ؟ وقد رسم القاعدة أولا ثم ثنى بالدليل المسكت ، وعقب أخيراً بالمثال الحكيم .

بقيت مسألة دقيقة تجول في خاطر كل صديق ، وهي تحديد العلاقة بين الصداقة والمنفعة ، ونحن نرى كثيراً من الكاتبين يلقون القول على عواهنه فيحكمون أن الصداقة تتعارض مع المنفعة تعارضاً تاماً ، وأن الذي يصادق ليقطف ثمرة ، أو يحصد ذرعاً فهو نفعي وصولي ، مع أن هناك ناحية لا يجب أن يغفل عنها غافل ، وهي أن المنفعة والصداقة صنوان متلازمان لا يفترقان ، وأن الخلاف لا ينبغي أن يتجه إلى المفاضلة بينهما كمضمون منفصلين ، إذ ما من صديق إلا وينتفع به صديقه إن مادياً وإن أدبياً ؛ فهو على الأقل يرفه عنه همومه ، ويتحمل جانباً من مره ، ويزيل ما بنفسه من كبت داخلي قتال ، وكل أولئك منافع غالية لا تقدر بمال أو عتاد ، ولكن ينبغي أن يتجه الخلاف إلى ناحية أخرى نأتي بعد التسليم بحدوث المنفعة من الصداقة ؛ ولعلها تنحصر في السؤال الآتي : هل تكون الصداقة وليدة المنفعة ؛ أو تكون المنفعة وليدة الصداقة ؟ ! فإذا كانت الصداقة وليدة المنفعة فهي الصداقة الوصولية المادية التي يحتقرها المثاليون ، ويزدريها الأخلاقيون ، والتي ندد بها ابن المقفع أشد تنديد في مواضع عدة من كتاباته . وقال عن أصحابها في تبرم واضح « ومن كان يصنع المعروف ليمض منافع الدنيا فإنما مثله فيما يبذل ويعطى كمثل الصياد وإلقائه الحب للطير ، لا يريد بذلك نفع الطير ، وإنما يريد بذلك نفع نفسه ؛ فتعاطي ذات النفس أفضل من تعاطي ذات اليد » .

أما إذا كانت المنفعة وليدة الصداقة فهي بلا ريب مودة مثالية فاضلة ينشدها عشاق الفضيلة وأرباب المروءة ، إذ أن الإنسان مهما عظم جبروته وطغى سلطانه ، في حاجة قوية ، إلى من يطلع على خبيئة سره ، ويستكشف ذات صدره ، فيشاركه الرأي ويقاسمه التفكير — وهذه هي الصداقة بمعناها الصحيح — وقد حبذها ابن المقفع بكل قواه ، وله فيها حكم بينة ، كأن يقول « اعلم أن إخوان الصدق هم خير مكاسب الدنيا ، هم زينة في الرخاء ، وعدة في الشدة ، ومعونة على خير المعاش والمعاد ، فإذا نابت أخاك إحدى النوائب من زوال نعمة أو نزول بلية ، فاعلم أنك قد ابتليت معه إما بالمؤاساة فتشاركه في البلية ، وإما بالخذلان فتحتمل العار ، وأن أولى أهل الدنيا بشدة السرور من لا يزال ربعه من إخوانه وأصدقائه من الصالحين معموراً ، ولا يزال عنده منهم جماعة يسرهم ويسرونه ويكون من وراء حاجاتهم وأمورهم بالمرصاد ، فإن الكريم إذا عثر لا يأخذ بيده إلا الكرام ، كالفيل إذا وحل لا تخرجه إلا الفيلة » .

وباب الحمامة المطوقة فى كتاب « كليلة ودمنـة » يدور حول المنفعة المتولدة من الصداقة ، بل أن ابن المقفع جعل مزية الصداقة الوحيدة هى ما يعقبها من معونة الأصدقاء ، ومساعدة الإخوان ، فالحمامة لم تنج من الشرك إلا بفضل صديقها الفأر ، والظبى لم يفلت من الصياد إلا بمعونة صديقه الغراب ، والسلحفاة لم تتمتع بالحياة إلا بمساعدة الجرذ ، وهكذا يضرب الحكيم النابغة أمثاله للناس « وما يعقلها إلا العالمون » .

وإذا كان الرجل قد أجاد فى الحديث عن الصداقة إجادة محمودة ، فإنه أبدع فى الكلام عن العداوة إبداعاً يستدعى الانتباه ، ويقينى أنه لم يلح فى إكبار الصداقة إلا بعد أن حيكت له الدسائس ، وذاق من الأعداء صنوفاً أليمة من الكيد والختل ، وليس بغريب على نابغة كابن المقفع أن يكثر حساده ومبغضوه ، وهل يحسد من الناس غير المبجل فى عشيرته ، المعظم فى دولته ؟ وهل يتعرض الشانئون لغير من يزهم فى المنزلة ، ويرتفع عنهم فى المكانة ، ألم يطعنوا على الرجل فى دينه وخلقه وتقواه !! نحن مظلمة غشيت النابغة العظيم كقطع الليل فعلمته كيف يجيد الحديث عن الوشاة والأعداء ، بل إن أعظم فصل فى كليلة ودمنة وهو باب الأسد والثور يدور حول الأفاكين من الوشاة ، وكيف يبذرون بذور الشقاق بين الأحبة والأصفياء ، وقد اصطبغ فيه حديث الكاتب بصبغة شاحبة مشجية حتى لتتصور كلماته أنيناً يتردد فى قنوط وحرمان !!

وقد يبدو لمن يطالع ابن المقفع فى باب العداوة والكيد أنه عفو صفوح يتبع السيئة الحسنة ، لأن له من العبارات ما ينطق بالتسامح والحنو كأن يقول « ابذل لصديقك دمك ومالك ، ولعدوك عدلك وإنصافك ، وللامة بشرك وتحننك » ولكن من يتعقبه تعقباً جدياً يدرك مقدار يقظته وانتباهه ، وما أحب أن أحلل أقواله تحليلا يتشعب معه القول فى فجاج شاسعة بل أنقل إلى القارىء بعض ما أثر عنه فى مؤاخذة الأعداء ، قال ابن المقفع

١ — إن كنت مكافئاً بالعداوة والضر فإياك أن تكافىء عداوة السر بعداوة العلانية ، وعداوة الخاصة بعداوة العامة ؛ فإن ذلك هو الظلم . ومن الحيلة فى أمرك مع عدوك أن تصادق أصدقاءه ، وتؤاخى إخوانه ، فتدخل بينه وبينهم فى سبيل الشقاق والتلاحى حتى ينتهى ذلك بهم إلى الفظيعة والعداوة له .

٢ — قارب عدوك بعض المقاربة لتنال حاجتك ، ولا تقاربه كل المقاربة فيجترىء عليك ، ويضعف جندك وتذل نفسك ومثل ذلك مثل الخشبة المنصوبة فى الشمس إذا أملتها قليلا زاد ظلها ، وإذا جاوزت بها الحد فى إمالتها نقص الظل .

٣ — الحازم لا يأمن عدوه على كل حال فإن كان بعيداً لم يأمن سطوته ، وإن كان مكتئباً لم يأمن وثبته ، وإن كان وحيداً لم يأمن مكره ... وإن صرعة اللين والرفق أسرع وأشد استئصالا للعدو من صرعة المكابرة ، فإن النار لا تزيد بحدتها وحرارتها إذا أصابت الشجرة أن تحرق ما فوقها ، والماء ببرده ولينه يستأصل ما تحت الأرض منها .

وقد يوجد من يؤاخذ ابن المقفع على اختراع هذه الأسلحة الفتاكة فى حرب العدو ، وربما ظن الظنون بنابه الأزرق ، وشك فى دخيلة نفسه ونحن لا نتردد فى تبرئة الكاتب مما قد يعلق ببعض الأذهان حيث لا نرى جناحاً فى الكيد لمن يسوء ، بل أن على الرجل الذى يحترم رجولته أن يضرب أعداءه ضربة قاصمة حتى لا يسمح للعقارب المؤذية أن تنفث سمومها فى الظلام !

لقد اجتهد عبد الله فى تحديد قوانين الصداقة والسمو بها إلى أفق ملائكى تهب فيه النسمات العاطرة ، ولكنه اصطدم بغرائز دنيئة تدعو إلى الهبوط فى وهدات مظلمة منتنة ، فلم يجد بداً من محاربتها محاربة صارمة حتى يهيىء لمثله العليا أن ترفرف فى جوها الرفيع ، ولقد بات الكاتب وترك من أقواله فى الصداقة ظلا وارفاً يفىء إليه المخلصون ، فيأكلون من ثمره الحلو ، ويستنشقون نسيمه المنعش فى لذة وارتياح .

حسب ابن المقفع وفاء أن تتقطع أحشاؤه شوقاً إلى أصدقائه ، وأن يأرق فى حنادس الظلام ليسائل البرق الخاطف عن أصفيائه الأعزة ، ثم يعمد إلى قلمه الرشيق فتسجل عواطفه الجياشة الوارة ، فى سطور عبقة يتضوع أريجها مدى الأحقاب المتتاليات !

أى نابغة الفرس العظيم ، لقد دعوت إلى مكارم الأخلاق فى دنيا وضيعة دنيئة ، وناديت بالوفاء فى معشر جبلوا على الخيانة والغدر ، فهنيئاً لك كفاحك المرير فى حومة الشرف ، وجهادك الشاق فى ساحة النبل والوفاء .

فقل للذى يبغى مداه منافساً طمعت لعمر الله فى غير مطمع

(جزيرة الروضة) محمد رجب البيومي

الأدب والفن في أسبوع

للأستاذ عباس خضر

على هامش اليونسكو :

لقد بذل لبنان منتهى النشاط فى الإعداد لمؤتمر اليونسكو ، وأنفق كثيراً فى الأوجه المختلفة المتعلقة به من تشييد وتأثيث وضيافة وغير ذلك . ودعت مصر أعضاء المجلس التنفيذى لليونسكو إلى عقد دورة فيها عقب انتهاء مؤتمر بيروت العام ، فلبوا الدعوة وسينزلون ضيوفاً على الحكومة المصرية من يوم ١٢ إلى ٢٦ ديسمبر الحالى ، ويزورون فى خلال ذلك المتاحف والآثار ، والدور العلمية ، وتقام لهم بعض الحفلات ، ويشاهدون التمثيل فى الأبرا .

ولا شك أننا — لبنان ومصر — نقصد إلى الدعاية لبلادنا ، ونسير فى وسائلنا لذلك على ما عرفنا به من الكرم والسماحة ، ولا علينا أن الدول الغربية عند ما تدعو إلى عقد المؤتمرات العالمية لا تبذل لها ما نبذل بل لعلها ترى إلى الاستفادة الاقتصادية من وجود أكبر عدد ممكن من مندوبى الدول فيها ، فنحن أحفاد حاتم الطائى ، ونحن أبناء الشرق الروحيون ...

ولكن عند ما يشاهد أولئك المندوبون الضيوف الكرام منشآتنا وبنايانا الفخمة الضخمة ، من تليد وعتيد ، ويرون الأنوار الساطعة فى ميادين عواصمنا — لا ينبغى أن نغتر بظاهر ثنائهم ، فإن لهم عيوناً نافذة تلمح ما وراء هذه المظاهر من الحياة البادية للشعب ، وهى حياة شاسعة تشغل تلك المظاهر جزءاً صغيراً جداً منها ... فبناء الجامعة — مثلا — بالغ الروعة ، وبها عدد من الأساتذة الأعلام لا يقلون فى مستواهم العلمى والفكرى عن أمثالهم فى أرقى الأمم ، ولكن هذه قمة الهرم والباقى سفح لا يشرف ما به من نسب الأمية والجهالة ، ومسرح الأبرا يتيم فى القطر وأرستقراطى ، والأنوار الساطعة لا تعشى البصر عن رؤية الأكواخ ومساكن الفقراء ... الخ

وأنا أريد أن أفرض أن ضيوفنا سينخدعون بما نغرقهم فيه من ضباب الحفاوة والمظاهر ، وما أحب إلينا ذلك ، ولكن أخشى أن ننخدع نحن بصنعنا ... فنظل على ما نقوم بتمثيله ونحن فى أشد الحاجة إلى أن نعيش أكثر الوقت فى واقعنا ، نواجهه ونرقمه حتى نصل إلى الحد الذى نستمد فيه تمثيلنا من واقع الحياة .

التعليم المصرى فى السودان :

وهذه مسألة من صميم اختصاص منظمة اليونسكو ، فليت وفد مصر يثيرها فى المؤتمر ، أليس من مبادئ اليونسكو نشر التعليم فى أرجاء العالم ؟ فلتقل للانجليز لم يقفون فى وجه انتشار التعليم فى السودان ويعوقون الجهود المصرية فى هذا السبيل ؟

فقد تضمن خطاب العرش فى افتتاح الدورة البرلمانية الحاضرة أن الحكومة المصرية تعمل على إنشاء مدرسة ثانوية فى الأبيض ومدرستين ابتدائيتين إحداهما فى كسلا والأخرى فى بور سودان ومدرستين أوليتين إحداهما فى واو والثانية فى بور . فليبل ذلك الخاطر الإنجليزى فى السودان ، لأنهم يعطون التعليم للسودانيين بقدر وعلى النحو الذى يريدونه ، من حيث تهيئته تهيئة آلية ، وتشبيعه بالروح الوالية لهم ، أما المدارس المصرية فهى الخطر كله ، وأقل ما فيها أنها تجمع أبناء الوادى على ثقافة واحدة ، وهى تشعر السودانيين بأن للحكومة السودانية الإنجليزية شريكا فى النفوذ هناك ، وحكام السودان من الإنجليز يحرصون على أن يقروا فى أذهان إخواننا بالجنوب أنهم — أى الإنجليز — كل شىء هناك ، وليس لمصر معهم حول ولا طول .

فما كان من الخاطر الإنجليزى المبلبل فى السودان إلا أن أفضى لسانه فى مؤتمر صحفى بالخرطوم — على الطريقة الإنجليزية الرقطاء — أن حكومة السودان تشكر مصر على شعورها نحو التعليم فى السودان إلا أنها ترى أن تتعاون وزارة المعارف المصرية مع مصلحة المعارف السودانية على إنشاء هذه المدارس المقترحة والإشراف عليها بدلا من أن تكون تابعة رأساً لتلك الوزارة ، لأنه ليس من مصلحة البلاد إقامة نظامين للتعليم فيها لكل منهما برنامجه الخاص .

ومعنى ذلك أن إدارة المدارس المقترحة تكون «ثنائية» ومعنى الثنائية فى العرف الإنجليزى بالسودان أن ينفرد الإنجليز بكل شىء

هناك دون مصر ، طبقاً لخرافة « الحكم الثنائى » المشهورة ..

ثم كيف كان من مصلحة البلاد إقامة نظاميين للتعليم يوم أنشئت مدرسة الملك فاروق فى الخرطوم ومدرستان أوليتان فى جبل الأولياء وملكال ، ثم أصبح ذلك الآن مخالفاً لمصلحة البلاد ؟ أكان من المصلحة لأنه وقع فى سنة ١٩٤٣ فى خلال الحرب يوم كان « الحلفاء » يخطبون الود ويبذلون الوعود ويستجدون الثقة والمعونة ، ثم صار الآن من غير المصلحة ... ؟ على أن النظاميين قائمان ، حتى قبل إنشاء المدارس الحكومية المصرية ، فهناك منذ زمن مداس أهلية برنامجها مصرى ، ويقبل أبناء السودان على هذه وتلك على رغم العقبات التى تضعها الحكومة السودانية فى سبيلهم ، والتى منها عدم الاعتراف بالشهادات المصرية فى التعيين بالوظائف ، والالتحاق بالمدارس العالية التابعة لحكومة السودان ، وغير ذلك .

وبعد فإذا كان الهدف الأول لليونسكو القضاء على أسباب الحروب فى عقل الإنسان ، فهذه هى عقول الإنجليز فى السودان .

الصهيونى والفرقة المصرية :

« الصهيونى » مسرحية ألفها ، وأخرجها ، وقام بدور البطل فيها ، الأستاذ يوسف وهبى بك ؛ ومثلت فى هذا الأسبوع على مسرح الأزبا

* وافق مجلس كلية الآداب بجامعة فؤاد الأول على دعوة الدكتور طه حسين بك ليكون أستاذاً زائراً بها ، وقد قابل أحد أساتذة الكلية الدكتور طه وفاتحه فى هذا الأمر ، فأبدى الدكتور عدم رغبته فى العودة إلى الجامعة وأنه سيرفض تلك الدعوة .

* قدم إلى مصر فى الأسبوع الماضى معالى الأستاذ الشاعر العراقى الشيخ محمد رضا الشبيبى رئيس المجمع العلمى العراقى — لحضور مؤتمر مجمع فؤاد للغة العربية ، وهو أول مؤتمر يحضره بعد انتخابه عضواً فى المجمع ، وسيستقبله فى جلسة الافتتاح الأستاذ العقاد بكلمة ترحيب وتعريف .

* اعترض مندوب لبنان فى مؤتمر اليونسكو على عدم اعتماد اللغة العربية فى عداد اللغات الرسمية للمؤتمر مع أنها لغة خمس دول مشتركة فى اليونسكو ، وأيده مندوبا مصر والمملكة السعودية ، ودارت مناقشة انتهت بإحالة الموضوع إلى إحدى اللجان لدراسته . وفى نفس الجلسة تقرر اتخاذ الاسبانية لغة رسمية .

* كان المجمع العلمى العربى فى دمشق طلب إلى معهد المخطوطات بالجامعة العربية تصوير كتاب تاريخ دمشق الكبير لابن عساكر توطئة لنشره . ويعمل المعهد الآن فى تصوير الكتاب الذى يقع فى سبعة آلاف صفحة ، وقد أوشك أن ينتهى منه .

* توالى لجنة الأدب بالمجمع اللغوى النظر فى الانتاج الأدبى المقدم لمسابقة سنة ١٩٤٨ — ٤٩ وتنتهى من عملها فى أواخر فبراير القادم وتعلن النتيجة فى مارس وقد تقدم فى البحوث أربعة وفى القصة ثلاثة عشر وفى الشعر أحد عشر

* كان قد اختير المراقب العام للاذاعة فى الخبراء الملحقين بوفد مصر فى مؤتمر اليونسكو ، وقالت مجلة الإذاعة إن حضرته سيوافى الإذاعة بأنباء المؤتمر ، وإلى الآن لم يسمع من الإذاعة شىء من أنباء المؤتمر لا من مندوبها ولا نقلا عن الصحف كدابها فى نشرة الأخبار .

* لوحظ أن الأغنية الجديدة التى ألفها راى وغنتها أم كلثوم تكونت من عدد كبير من ألفاظ البكاء والأنين والدموع والشجن ...

الملكية . وهو يقدم لنا فيها شاباً ماجناً خليعاً مدللا متعطلا على الرغم من أنه درس الهندسة الميكانيكية ونال فيها أعلى الشهادات ، وهو ابن (باشا) عسكرى قديم : يسخط عليه أبوه لأنه ولد (خسران) وفجأة يهبط على المنزل بطائرة ويعلن أنه أصبح ضابطاً فى سلاح الطيران بالجيش المصرى تلبية لنداء الواجب فى حرب الصهيونيين بفلسطين ، وفى هذا الموقف نرى البطل الطيار (يوسف وهبى) يقلب الجو الذى كان ينبغى أن يكون رائعاً ، إلى مهزلة .. يسخر فيها من أبيه «الرجل العسكرى» ويتندر عليه . وتسود هذه الروح وهى تكلف الظرف والفكاهة فى غير موضعها — أكثر مواقف الرواية ، ومن ذلك ما يحدث عند ما يفاجئ الأسرة شاب يدعى أنه « سامى » ابن الباشا من زوجته الأجنبية التى خرجت به من مصر صغيراً ، وأنه لما علم بأن مصر تحارب فى فلسطين أسرع إليها ليؤدى واجبه ، ويظهر فيما بعد أنه جاسوس صهيونى ، وهو المقصود بعنوان الرواية ، يدخل هذا الشاب على أسرة الباشا فيستقبلونه ويدهشون لسانه المصرى فيقول لهم : إنه كان يدرس اللغة العربية فى كلية اللغات الشرقية بألمانيا ، وينطق بعبارات فصيحة ، فيقول له « عزت » المهندس الضابط

الطيار :(دابيكلم نحوى كمان ... دا ينفع فى ا) وهذا كلام ليس بأخطأ فحسب بل هو من فكاهات الطبقة العامية البحتة ...

هذا وقد أجاد فؤاد شفيق الذى مثل دور الباشا ، فى دعابته ، وهو ممثل مطبوع على الظرف بإلقائه وحركاته وتعبير ملامحه .

وأجادت أمينة رزق فى تمثيل «منى» بنت أخى الباشا ، أجادت فى القيام بدور الفتاة الكريمة ذات الإحساس النبيل ، التى تتألم إزاء إعراض « عزت » عنها ، ووالداه يلحان فى زواجه منها . وقد رفعت المسرحية فى دورها عن مستواها السف ... وكذلك فعلت سامية رشدى التى مثلت الزوجة التركية المطيعة والأم التى تكاد تهلك أسى على مصير ولدها .

وقد توالت فى أواخر الرواية المفاجآت وازدحمت المصادفات مما كاد يخرجها عن مألوف الواقع فى الحياة ، فقد كشف أمر الجاسوس الصهيونى بعدة مصارفات محكمة ، كأن الأقدار تشترك فى تأليف الرواية . . . وقد أفرغ يوسف وهبى المؤلف طاقته الصاخبة فى التأليف ، حتى لم يبق له منها شىء فى التمثيل ... فقد مثل « عزت » فصغر حتى صار شاباً فى الخامسة والثلاثين ، صغر (بالكياج) ولكنه ظل جامد الحركة ، تتعاقب عليه الأحداث وهو هو لا تغيير ولا تعبير . ويوسف وهبى إنما يعبر بالحنجرة والصوت الجهير والتلويح باليد وما شابه ذلك ، وهو ينجح فى هذا اللون من التمثيل حتى يبلغ القمة ، ولكن دوره فى هذه الرواية لم يكن كذلك .

والمسرحية ترمى إلى الإشادة بالوطنية المصرية ، ولكن الموضوع شىء ، وطريقة معالجته وأدائه ونصيب ذلك من الفن الراقى شىء آخر . فالرواية تشبه (الاسكتشات) التى تقدمها الفرق الاستعراضية ، وما أشك فى أن « شكوكو » كان أليق من يوسف وهبى بدور « عزت » .

ومما يؤسف له أن الفرقة المصرية بعد أن بدأت موسمها بمسرحية « سر الحاكم بأمر الله » وكان يرجى أن تسير فى هذا المستوى ، وقد ألف لها محمود تيمور وتوفيق الحكيم مسرحيتين جديدتين لم تظهرا بعد . أقول مما يؤسف له أنها أخذت بعد ذلك فى برنامج لا يبشر بنجاح الموسم النجاح المرجو لفن المسرح فى مصر بعد أن انحصر فى الفرقة التى ترعاها الحكومة . وقد أعلن أن الفرقة ستمثل بعد « الصهيونى » روايات أخرى قديمة ليوسف وهبى ، وقد تكون هذه الروايات نجحت فى وقتها . ولكن هل تصلح الآن للنهضة المرجوة ، وهى تحتاج إلى التجديد ، وإلى الفن الراقى ؟

لا أقول إن يوسف وهبى يستند إلى رعاية الدولة وإعانتها للفرقة المصرية ، فيعمد إلى إظهار نفسه كل شىء فى كل شىء ... فى التأليف ، وفى الإخراج ، وفى التمثيل ، وفى النقد بالحكم على براعته فى الإعلانات التى يصدرها باعتباره مديراً عاماً للفرقة ، وهذا (أنه مدير عام) الطرف الخامس للأطراف التى يريد أن يجمع المجد منها كلها — لا أقول ذلك إلا خوفاً على الفرقة المصرية أن تعصف بها هذه الجهود الترامية ونحن فى عصر الاختصاص ، فليكتب يوسف وهبى جماع عبقريته الشاملة ويترك التأليف على الأقل ويفسح للآخرين من أهله أن يساهموا فى خدمة المسرح وتغذيته ورفعته .

الحارة البرانية :

قرأت الكلمة التى كتبها الأستاذ أحمد عزيز بيتوفن بعنوان « أوهام لغوية » ونسب إلىّ وهماً منها فى بعض ما كتبت ، وهو « والحادثة الهامة فى القصة أو العقدة فيها ، ادعاء الحاكم بأمر الله الألوهية » قال : « واستعمال كلمة هامة فى هذا المكان للدلالة على أهمية الحادثة وهم لغوى ! وكان الصواب أن يقول الحادثة المهمة ، فى قاموس الصحاح للجوهرى ما يلى : المهم : الأمر الشديد ، وأهمك من الأمر : ما أقلقك وأحزنك » .

وفى هذا الكلام وهمان لغويان ، أثناء الأول من وقوفه عند « الصحاح » فاعتمد « أهمه » وأنكر « همه » ، ولو أنه فتح معجما آخر لوجد أنهما موجودان بمعنى واحد ، ففى القاموس المحيط « همه الأمر هماً ومهمة حزنه كأهمه » . وفى المصباح المنير « أهمنى الأمر بالألف أقلقنى وهمنى هماً من باب قتل مثله» فالهامة من وهم والمهمة من أهم ، واستعمال كل منهما كاستعمال الأخرى ، ويبدو لى أن استعمال أيهما فى الدلالة على الأهمية آت من حيث أن الأمر القلق يدعو إلى الاهتمام .

الوهم الثانى فى قوله : « قاموس الصحاح للجوهرى » لأن القاموس علم على كتاب الفيروزابادى مأخوذ من القاموس بمعنى البحر ، وليس كل معجم قاموساً كما وهم حضرته .

ويظهر أن السيد بيتوفن يريد أن يكون معقباً لغوياً ، فأنصحه بالحذر من « الأوهام » وأتمنى له أطيب التمنيات .

عباس مضر

اتعاظ الحنفا

بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا[1]

تأليف الدكتور جمال الدين الشيال

إن الذين يحملون العلم إلى الناس بالتأليف أو النشر أو الترجمة أو بالمجلات ، إنما يحملون إليهم من نور الله ليستضيئوا به وليزدادوا نوراً . وحملة العلم سواء كان أدباً أو علوماً طبيعية ، أو غيرها ، وسواء كان أصحاب مجلات يتخذونها ندوة للفكر وأصحابه إنما يفترضون على أنفسهم رياضة علمية طويلة شاقة قبل أن يبلغوا مرتبة العلماء . وفى هذه الرياضة العلمية يشترط الإخلاص الذى هو جماع الفضائل وطريق الراغب السالك طريق العلم . وكم من مشتغل بالعلم يمضى ويطويه الزمان الغشوم فى غير رحمة بجهوده الطويلة وآماله العريضة ؛ فإذا أنزل الله نوره على عبده فتح له من أبواب العلم ونشره ما يرفع له ذكراً .

ومن الذين فتح الله عليهم وهداهم فى التاريخ إلى جوانب طريفة فجعلهم مرجعاً للأجيال التى تلتهم والتى تليهم المؤرخ المصرى تقى الدين المقريزى صاحب كتاب اتعاظ الحنفا الذى نشره الدكتور جمال الدين الشيال . فقد امتاز المقريزى بنظرات طريفة وملكات مواتية ، وجلد على العمل وتوفيق ربانى عجيب فيما ألف . وترك من بعده أخباراً تاريخية طويلة تقع فى مجلدات عديدة ضخمة ، بعضها معروف منشور وبعضها مخطوط ينتظر النشر . وقد عنى بنشر كتب المقريزى جماعة كبيرة أجلة من المؤرخين منهم الأستاذ فيت مدير دار الآثار العربية الملكية المصرية الآن ، ومنهم الدكتور زيادة أستاذ التاريخ المصرى بجامعة فؤاد ، ومنهم ناشر كتاب اتعاظ الحنفا الدكتور الشيال ، الذى نتحدث عنه اليوم .

وليس هذا أول كتاب ينشره الدكتور الشيال للمقريزى ، فقد نشر له من قبل كتابين قيمين ، الأول كتاب كشف الغمة الجامع لأخبار الأزمات الاقتصادية ، وهو على حجمه جليل القدر عظيم النفع ، والثانى : نحل عبر النحل . وهو كتاب قيم بثروته اللغوية الضخمة ، كنا نود لو لم يهاجر الدكتور أبو شادى إلى أمريكا حتى يعرف الجمهور ويعرف أمثالنا ممن لا يعرفون عن النحل إلا القليل قيمة هذا الكتاب . أما من الناحية التاريخية ، فذلك الكتاب يحوى أخباراً تاريخية قليلة . ثم هذا الكتاب الثالث الذى نعرض له اليوم ، وهو كتاب اتعاظ الحنفا .. فى تاريخ الدولة الفاطمية ..

وللنشر أصول صارمة تجعل مجرد النسخ مهمة دقيقة مضنية . فإذا انتهى النسخ من المخطوطات المختلفة ابتدأت مهمة جديدة هى إقامة النص وإصلاح خلله . فإن كثرة نسخ الكتاب تدخل عليه كثيراً من الأخطاء . ومن الناشرين من يلتزم بعد ذلك توضيح النص بالهوامش .

ولكن مهمة الدكتور الشيال تعقدت لأن المخطوط فى برلين ولا سبيل إليه ، فرجع إلى نشرة الكتاب القديمة . وكانت مليئة بالأخطاء فأصلح ذلك كله بمقارنة النص المنشور بالنصوص التاريخية الأخرى ، ثم إنه التزم التعليق حتى تضخمت الهوامش وبلغت حداً كبيراً . وقد كان ربع هذا كافياً . ومن الخطأ أن يتصور الناشر نفسه شارحاً ، فمجال الشرح طويل لا يحتمله النشر . ودليل ذلك أن الدكتور الشيال لم يشرح نقطاً كثيرة تجل عن الحصر كما شرح أشياء كثيرة فوق الحصر . فأنت تتحير حين تقرأ النص بين هوامشه الكثيرة ، وقد تهمل هذه الشروح لكثرتها . فإذا صبرت فقرأت كل ذلك وجدت شيئاً غير مشروح إلى جانب شىء مشروح . ولعل أنفع شىء للناشر والكتاب والجمهور جميعاً أن توضع كافة الشروح والتعليقات فى مقدمة بأول الكتاب ، فيستطيع المستعجل أن يكتفى بها ويستطيع غيره أن يهتدى بها فى قراءته للكتاب . وقد جرى على ذلك المنهج كثير من الناشرين حتى أصبح نظاماً مليئاً أتباع

(١) هو الجزء الثانى من مكتبة المقريزى الصغيرة ، نشره الدكتور الشيال وطبعته دار الفكر العربى سنة ١٩٤٨ .

منهجهم إلا إلى منهج أحسن .

وقد كنا نحب أن ينبه الدكتور الشيال قراءه وقراء المقريزى إلى أن هذا الكتاب لا يعد من أمهات كتبه ، وأن صبر المقريزى على جمع الأخبار خانه هذه المرة ، وأن جزءاً هاماً جداً من الكتاب قد ضاع حتى ليعد الجزء الباقى منه شيئاً يسيراً إلى جانب الضائع . وقد ذكر الدكتور الشيال هذا الفقد ، ولم يعلق عليه ؛ وقد نلتمس له أعذاراً كثيرة منها أنك إن ألححت فى ذلك زهدت القراء أولا وعدمت الناشر الطابع ؛ وفى ذلك كارثة محققة تصيب العلم قبل أن تصيب العلماء . والناس أحوج إلى من يشجعهم ويشوقهم إلى تراثنا العلمي القديم .

ومن حق الناس مع ذلك أن يعلموا أن الكتاب قد يكون مسودات جمعها المقريزى وفى نيته أن يرجع إليها ثم لم يأذن له وقته بذلك . وإن كان من حقهم أن يعلموا أيضاً أن ذلك فرض أرجحه أنا ، وقد لا يرى الأستاذ الشيال ذلك ، وقد يضع هذا الكتاب فى مصاف كتبه الأخرى . وقد كان عليه أن يعرفنا بقيمة الكتاب لعله يلفت نظرنا إلى ما لم نلتفت إليه .

فإذا عرفت أنه كتب مقدمة طويلة فى نحو عشرة صفحة لم تتسع لذلك التمست له العذر ، لأنه يحرص على أن لا تطول المقدمة . ونحن على عكسه كنا نريد أن تتسع المقدمة لذلك وأن تتسع أيضاً لكثير من الشرح المودع فى الهوامش إيداعاً شبيهاً بالتستر والاستخفاء .

وكل ما مضى ملاحظات عن المقدمة وما كنا نتنظره منها . وهى بعد ذلك مقدمة ممتازة حقاً واضحة وضوحاً تاماً فى أسلوب رصين معتنى به . تفهمها بمجرد قراءتها وتستوعب ما يريد صاحبها أن يقول فى رفق ولذة ، فتحمد له ذلك وتنشط نفسك له

وإذا كان الأستاذ حريصاً على الأسلوب هذا الحرص فإنى أرى له أن يتجنب المضافات إليها قبل ذكر المضـــاف ؛ فإن للصحفيين أن يستطيبوا ذلك التركيب الركيك الخاطىء ، أما مثله فلا يقع فى مثله . فإن تكرار المضاف إليه مستثقل فى المادة وهو لا يجوز فى النحو إلا فى عطف ما يكثر اصطحابهما مما يرجع إلى صنف واحد، فتقول يد ورجل زيد؛ ولكن لا تقول دار وغلام زيد . ومثل هذا التركيب قد يرد فى الشعر للضرورة ، ولا يباح فى النثر وقد ركب الأستاذ هذا التركيب ثلاث مرات اجتمعت فى صفحة واحدة هى صفحة س .

ولنقفز بعد ذلك إلى آخر الكتاب . نجد فيه ملحقات كثيرة منها ما قدمه الناشر على أنه استكمال لنص الكتاب وبدل من الجزء الفاقد ، ومنها جداول وضعها الناشر نفسه ، وهذه الملحقات كما ترى مختلفة فى طبيعتها ، بعضها للمؤلف وبعضها للناشر . ولهذا كان من الواجب أن تختلف التسمية باختلاف الملحقات ، كأن تسمى ما ينسب منها للمقريزى ذيلا أو صلة وهى تسمية مألوفة معروفة عند القدماء ، وكأن تسمى ما ينسب للناشر ملحقاً . وشىء آخر ، هو أن الناشر جعل كل جدول ملحقاً فتكاثرت الملحقات تكاثراً يكاد القارئ يضل فى ثناياه . وشئ ثالث ، هو أن أحد هذه الجداول وضع لشرح قسم خاص من الكتاب فإذا طابقت بينهما وجدت الناشر أقام جدوله على رواية واحدة وأهمل سائر الروايات .

ومن قلة الإنصاف للناشر مع هذا أن تجرّح هذه الملحقات بشئ من النقد . لأن الناشر وفق فى جمعها وتعب فى البحث عنها وصور بها الجزء الفاقد خير تصوير . ولكنه مجرد تصوير للجزء الفاقد لم يقصد به الحصر . ففى كتب المقريزى عن الفاطميين شئ كثير لم يوضع ضمن الملحقات . غير أن الدكتور الشيال إنما اقتصر على كتاب خاص من كتب المقريزى هو — المواعظ والاعتبار ، فنقل عنه ، وقد ذكر سبباً دعاه إلى ذلك لا نقره عليه ، ولكن هذ القسم الملحق قد أحيا الكتاب وصوره لنا فوضع أمام أعيننا الجزء الموجود ورسم لنا تخطيط المفقود منه .

ولنرجع بعد ذلك إلى الكتاب نفسه لأننا لم نعرض إلى الآن إلا لمقدمته وملحقاته .

الكتاب منشور نشراً صحيحاً سليما . نظر فيه الأستاذ الناشر فأمعن النظر ، وجبر أخطاء النشر القديم ، وتكلف فى سبيل هذا التصحيح عناء وجهداً يستحقان كل الحمد والثناء ، فرجع إلى مراجع كثيرة ضبط بها النص : والمعروف أن التزام النص دون مسه إلا بالاختصار قاعدة جرى عليها القدماء ، لاعتبارهم التاريخ علماً نقلياً لا يجوز التصرف فيه إلا بأقل قدر مستطاع . وضبط الدكتور الشيال كذلك أسماء الأعلام وأسماء الأماكن

ضبطاً تاماً ، وعرّف بها ، فرجع فى ذلك إلى المصادر التاريخية والجغرافية القديمة . وقد كان ينبغى عليه أن يزيد على ذلك فيضع فى الكتاب خريطة جامعة . ثم حسنة أخرى : هى أنه فصّل النص إلى فقرات ، وأضاف إليه عناوين دون أن يتجاوز الحد . ولم يضع هذه العناوين جزافاً ، وإنما أخذها من مصادرها . فاستقام له النص استقامة محمودة ، وأصبح مفهوماً واضحاً . وهذا غاية ما ينتظر من الناشر الأمين ، والمؤرخ الثبت .

غير أن الكمال لله وحده ، هو وحده المنزه عن السهو والخطأ . وقد تورط الناشر فى أخطاء قد يحسن التنبيه إليها . أما بعضها فيتصل بقراءة النص وهو قليل جداً . وأما بعضها الآخر فلا نشك أن المطبعة هي التى ورطته فيه . ومثل هذه الأخطاء المطبعية مما يقع فيه الناس جميعاً ، ومما يقع فيه الناقد نفسه أيضاً . ولكن ذلك لا يبررها .

وقد كانت مطبعة بولاق الأميرية القديمة تحسن ضبط الطبع ؛ والمطابع فى أوربا اليوم تعنى بضبط الطبع أكبر عناية ، وتتخذ المراجعين على حسابها ، ولا تقتصر على تصحيح المؤلف . بل قد تنبه المؤلف على أغلاط سها عنها . فإن خلل الضبط يمس سمعة المطبعة أكثر مما يمس غيرها . وقد وضع الناشر قائمة طويلة للتصويبات ، إلا أنه لم يصوب غير الأخطاء الظاهرة ، وترك ما عداها لذكاء القارئ .

والقارئ لا يحب فى العادة أن يتعدى دور القراءة والاستفادة ؛ فإذا كلفته فوق ما يبتغى من القراءة أضجرته وأثقلت عليه . ومن حق أن آخذ له بحقه وأن ألوم المطبعة والناشر . وكيف لا ألوم وقد سمح الناشر لنفسه أن يلوم صاحب النشرة الأولى ، وأن ينبه على أغلاطه واحدة واحدة . ووجود هذه الأغلاط رغم اليقظة ومجرى الضبط توضح لك ما قلته منذ حين : وهو أن كثرة النسخ تدخل على النص من الأغلاط ما لم يكن فيه . ولهذا كان النشر فناً من الفنون التى تحتاج إلى طبيعة خاصة ، وكان الناشر جديراً باحترام القارئ وتسامحه واحتمال ما يقع فيه من سهو . وإليك الأخطاء التى وقعنا عليها :

لعلى بن أبى طالب ولدان سماهما عمر ، وميز بين العمرين بالأكبر والأصغر ، فلما جاء ذكر أحدهما (ص ٦) أصلح لفظ الأكبر وجعله الأصغر ، ثم جاء ذكر الأصغر (ص ٧) فلم يدخل عليه تعديلاً ولم ينبه عليه ، فترك فى النص عمرين أصغرين

وفى ص ٨ : فولد الحسن ... وحسناً وإبراهيم وجعفر ، (بدون النصب فى جعفر) وشبيه بهذا أو من قبيله ص ١٠ س ٤

وقد ترك النص غير مستقيم ص ٩٩ س ٧ ، ٨ ، وكان إصلاحه ميسوراً . ومن هذا القبيل أيضاً ص ١١٢ س ١٢ ، ١٣ لو حذف : « فتح سوسة بالسيف » لاستقام النص . وشبيه به لفظ « فوقع » ص ١٢٢ س ١٥ ، ثم ص ١٢٣ س ٦ ، فإنه غير مفهوم .

وفى ص ١٢٤ س ١٣ ذكر قلعة كتامة نقلا عن ابن الأثير وهى قلعة كيانة . والفرق بين . وقراءته على ما أراد الناشر فوقع فى خطأ أكبر .

وفى ص ١٨٦ س ٦ قال : « دخل المعز لدين الله أفريقية » وصوابها : رحل المعز لدين الله [عن] أفريقية . والتاريخ المذكور لحركة المعز هذه هو الذى يحتم تصحيحنا .

وقد يريد الناشر التنبيه على قراءة مخالفة ، ثم نجد القراءة المخالفة فى الهامش كالأصل فى المتن مثل ص ١٠٦ هـ ٥ ، ومثل ص ١٤٤ هـ ٢ ، ص ١٣٠ هـ ٢

ثم إن من الهوامش ما يطول من غير مبرر ظاهر مثل هامش ص ٢ ، وقد كان يكفى الإشارة إلى صفحتى و ، ز ، من المقدمة . ومثل هذا هين ، وقد يستطاف التكرار . غير أنه فى ص ٣٥ أحال فى الهامش رقم ١ إلى الذى يليه مع أن الذى يليه لا يتصل به إطلاقاً

أما الأخطاء المطبعية اليسيرة فكثيرة العدد ، وقد تقدمنا بلوم المطابع ووفيناها حقها من اللوم والفائدة من التنبيه على هذه الأغلاط ضئيلة ليسرها . ولذلك نضرب عن ذكرها .

ولنلخص ما قلنا : مقدمة رصينة واضحة ، ونص أقيم خير إقامة ، وملحقات بعضها تذييل من كتب المقريزى ، وبعضها جداول من وضع الناشر . ثم شروح مستفيضة . فإذا استثنينا الأخطاء التى وقفنا عليها ، لم نجد غير انتقادات على الشكل فى ذاته وتوزيع الشروح فى كل مكان .

وحسب الأستاذ الناشر أننا نثنى على ضبط النص ، فذلك

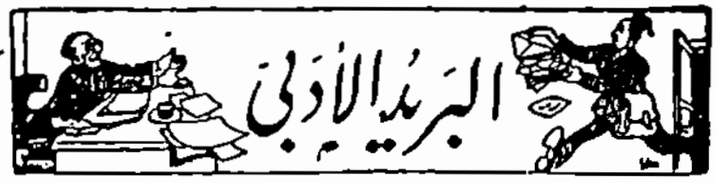

إلى درناوى صريح :

ورد لى ما لا يقل عن ٣٢ خطاباً من نواح مختلفة من البلاد العربية بمناسبة ما كتبته عن الصهيونية ثم عن دعوتى إلى الإسلام . إلا أن أمامى خطاباً من أديب من درنة من برقة فى ليبية . وهو موقعه بهذا الإسم المستعار « درناوى صريح » . وهو الوحيد الذى لم يصرح باسمه وبإمضائه ، وأنا مضطر أن أجاوبه عن طريق الرسالة ، وهذا ما أقتطفه من رسالته قال :

« وددت لو سكت حضرة الأستاذ أحمد عادل وعدل عن دعوتكم إلى الإسلام . ما فائدة المسلمين يا ترى فى هذا العصر (إذا زاد عددهم واحداً) وهم يربون على خمسمائة مليون نسمة . (ما نفعهم) بعد الذى جرى فى فلسطين المقدسة وسيجرى عما قريب فى مكة المكرمة (يعنى إذا كان المسلمون لا يمدون أيديهم للانقاذ) إن الإسلام بالإشارة لا ينفع ولا يضر . والإسلام الحقيق دين قول وعمل معاً ، وما ضر المسلمون فى هذا العصر إلا أنهم يعرفون الله (ولكنهم) لا يتبعون ما أمر به . وإذا استثنينا الخلفاء الراشدين والصحاب والتابعين والأولياء الصالحين من عباده المخلصين وأحصينا الإسلام وغربلناه لوجدنا الإسلام الصحيح قليلا من هذا العدد الكثير . نحن اليوم فى حاجة ماسة للعربى المجاهد من أمثال الأستاذ نقولا الحداد والذى سن قلمه الكاوى وقت اللزوم وجعله وقفاً لخدمة العروبة والإسلام وإنقاذ فلسطين ، وذلك بتنبيه العالم على صفحات المجلات والجرائد إلى الصهيونية وتبيين حاضر اليهود وماضيهم « الزفت » مع الأنبياء والمرسلين ونياتهم السيئة نحو العالم العربى » الخ ...

فأولا ، أشكر الأستاذ الدرناوى الذى يقاسى الآن تحت نير الاستعمار الأجنبى الذى يعتبره سلعة تمنح لوصاية أجنبية — أشكر له حسن ظنه بى عظيم الشكر . وما أكتبه فى القضية الصهيونية لا يساوى قطرة دم مما يسفكه أولادنا فى ميادين القتال فى سبيل إنقاذ فلسطين . وبكل أسف أقول إن هذه الدماء تسفك فى ذمة بعض العرب الزعماء الذين ظهر أخيراً أن فيهم خونة (الخيانة العظمى) يشترون السلاح من مال أمتهم ثم يبيعونه لليهود . إنى آسف كل الأسف أن أضطر إلى أن أفضح أنفسنا . ولكن الصبر على المضض يضاعف البلوى . لا أريد أن أتمادى فى هذا الموضوع المؤلم ...

أساس عمله . أما ما عداه فهو متفضل به على القارئ رغبة فى معونته وحرصاً على نفعه .

ولنا إلى ذلك ملاحظات على قائمة المراجع وعلى الفهرست الأبجدى ، ولكنها ملاحظات تتصل بطريقة العرض . وليس لها محل ما دمنا لم نتفق فى الشرق العربى بعد على أوضاع ثابتة عامة لها

فالكتاب كما ترى مضبوط مشروح ، فلا يهولنك ما ترى من كثرة الملاحظات فإنها لا تمس إلا الشكل ونحن إنما نريد بذلك التنبيه على خلل التنسيق .

والدكتور الشيال بعد هذا كله قد وقف نفسه على تاريخ مصر كما فعل المقريزى وجعله مادة الدروس التى يلقيها فى كلية الآداب بالاسكندرية . وقد دفعه حبه لأستاذه عبد الحميد العبادى بك إلى أن يهدى إليه الكتاب . والواقع أن هذا الإهداء قد وقع موقعاً حسناً من تلاميذ العميد المؤرخ ؛ فإن فضله على أجيال المؤرخين المصريين المعاصرين لا ينكر . فهو أول من خرج عن التقليد القديم فى دراسة التاريخ الإسلامى ، ونحا به إلى الناحية العلمية الصرفة ، ثم تبعه تلاميذه وزملاؤه فوجدوه قد شق لهم الطريق وقرب بين منهج الشرقيين والمستشرقين . وللعبادى بك فى نفوس الآلاف الذين تتلمذوا عليه منذ ربع قرن أو يزيد منزلة كبيرة وتقدير عظيم . فهو شيخ المؤرخين غير منازع . وإن له من تلاميذه كتباً حية . وله مقالات تعد نماذج فى ذاتها وصوراً رائعة وهى التى نشرها فى المجلات ، وقد جمع منها ثلاثين مقالة تتناول كلها العصر الأول وعصر بنى أمية ، وسماها : « صور من التاريخ الإسلامى » . أما مقالاته عن العصر العباسى فستظهر قريباً إن شاء الله . ولكن العبادى بك أهل بغير ذلك لكل إهداء وتكريم من تلاميذه الكثيرين ...

محمد عبد الهادى شعيره
أستاذ مساعد بكلية الآداب باسكندرية

وثانياً ، أن أحد الأدباء فتح عليّ باباً كنت أتحاشاه طول حياتي وهو عرضه الإسلام علي . وقد أفهمته بصراحة أني أقرب منه إلى الإسلام ، فلم يقتنع . واقترح علي آخر أنه ما دمت اعتقد أن الإسلام كالنصرانية فلماذا لا أعلن إسلامي ؟

عجباً ! ألكي أزيد ملايين المسلمين واحداً وأنقص ملايين النصارى واحداً ؟ « إني أخرج من قضاء الله إلى قضاء الله » .

يا عزيزي ، إن الدين الإسلامي كالدين النصراني عقيدة للعمل لا للقول . وما دمنا نتجادل بالأقوال وننسى واجب الأعمال فنحن إلى الوراء ، في حين أن العالم كله ومنه اليهود إلى الأمام .

كدت أيأس من تقدمنا في ميدان الكفاح العالمي ، ميدان بقاء الأفضل والأقوى . أكثر الله من أمثالك أيها الدرناوي (من درنة) لعلكم تنهضون بالأمة العربية وتدفعونها إلى الأمام .

نفوز الحراز

٢ شارع البورصة الجديدة بمصر

النسبة إلى فلسطين :

نشرت جريدة الأهرام الغراء كلمة لأحد مدرسي معهد طنطا تحت عنوان (فلسطي) خطأ فيها استعمال النسبة الشائعة (فلسطيني) إلى فلسطين معتمداً على ما جاء في (القاموس المحيط) في فصل الفاء باب الطاء ، وهو فلسطون وفلسطين ... كورة بالشام ... تقول في حال الرفع بالواو ، وفي النصب والجر بالياء ، أو تلزمها الياء في كل حال ، والنسبة فلسطي اهـ

وأقول : اختلف اللغويون في النسبة إلى فلسطين أهي فلسطيني أم فلسطي وهذا الاختلاف فرع عن الاختلاف في حقيقة فلسطين أهي مفردة وجميع حروفها أصلية أم لفظها لفظ جمع المذكر السالم فتنزل منزلته وتجرى مجراه فتعامل معاملته ، فمن قال بالأول نسب إليها على لفظها بدون تغيير فيقول : هو فلسطيني وهي فلسطينية ، ومن قال بالثاني عاملها معاملة هذا الجمع فرفعها بالواو فيقول مثلا : عاشت فلسطون عربية ، ونصبها وجرها بالياء فيقول : دخلت الجيوش العربية فلسطين لتحريرها من الصهيونية العالمية ، وتآمرت الدول الأجنبية على فلسطين لتحقيق المآرب الاستعمارية ، وطبق عليها قاعدة النسب إلى الجموع وهي تقضي بالرجوع إلى مفردها وهو هنا فلسط وإن كان لم ينطق به أصلا فقال : هو فلسطي وهي فلسطية وإليك النصوص التي تثبت صحة ما قلت :

جاء في لسان العرب في الكلام على (قنسرين) ما نصه : قنسرين وقنسرون كورة بالشام فمن قال قنسرين فالنسب إليه قنسريني ، ومن قال قنسرون فالنسب إليه قنسري لأن لفظه لفظ الجمع : ووجه الجمع أنهم جعلوا كل ناحية من قنسرين كأنه قنسر ، وان لم ينطق به مفردا ... والقول في فلسطين والسيلحين وبيرين ونصيبين وصريفين وعانين كالقول في قنسرين اهـ

وجاء في القاموس وشرحه وقنسرين وقنسرون وهو قنسري عند من يقول قنسرون ... وقنسريني عند من يقول قنسرين إلى آخر ما سبق من اللسان .

وجاء في اللسان وشرح القاموس في الكلام على (نصيبين) ما نصه : ونصيبين اسم بلد وفيه للعرب مذهبان منهم من يجعله إسماً واحداً ويلزمه الأعراب كما يلزم الأسماء المفردة التي لا تنصرف فيقول هذه نصيبين ومررت بنصيبين ورأيت نصيبين والنسبة نصيبي ، ومنهم من يجريه مجرى الجمع فيقول هذه نصيبون ومررت بنصيبين ورأيت نصيبين قال : وكذلك القول في بيرين وفلسطين وسيلحين وياسمين وقنسرين والنسبة إليه على هذا نصيبيني وبيربني وكذلك أخواتها ؟

قال ابن بري رحمه الله ذكر الجوهري أنه يقال هذه نصيبين ونصيبون والنسبة إلى قولك نصيبين نصيبي وإلى قولك نصيبون نصيبيني قال والصواب عكس هذا لأن نصيبين إسم مفرد معرب بالحركات فإذا نسبت إليه أبقيته على حاله فقلت هذا رجل نصيبيني ، ومن قال نصيبون فهو معرب إعراب جموع السلامة فيكون في الرفع بالواو وفي النصب والجر بالياء ، فإذا نسبت إليه قلت هذا رجل نصيبي فتحذف الواو والنون قال وكذلك كل ما جمعته جمع السلامة ترده في النسب إلى الواحد .

فتقول في زيدون اسم رجل أو بلد زيدي ولا تقل زيدوني فتجمع في الإسم الأعرابين وهما الواو والضمة .

وجاء في شرح القاموس قال الأزهري في التهذيب : نونها (فلسطين) زائدة ، وقال غيره بل هي كلمة رومية والعرب في أعرابها على مذهبين الخ

وجاء في (معجم البلدان) قيل إنها سميت بفلسطين بن سام ابن أرم بن نوح عليه السلام. أو بفلسطين بن كلثوم، أو بفليشين ابن كسلوخيم من بني يافث بن نوح ... ثم عربت إلى فليشين الخ

بعد هذه النصوص الواضحة لا أرى وجها لتخطئة فلسطيني وفلسطينية تلك النسبة الدقيقة الصحيحة المألوفة، ولو أنصف اللغويون لذكروا هذه النسبة بجوار النسبة (فلسطي) كما صنعوا في قنسرين ونصيبين ... فنجوا من القصور والتقصير وأرشدوا القراء إلى الحقيقة ولعلهم تركوها لأنها واضحة أو لفهمها من نظائرها.

علي حسن هلالي

بالمجمع اللغوي

فارس الخوري :

« فارس الخوري » من الشخصيات الخالدة التي لا تنسى، خدم وطنه وأمته، وضرب في ميدان السياسة الدولية بسهم وافر بيض فيه وجه سوريا ووجه الأمة العربية جمعاء، ولهذا الرجل في سوريا احترام بالغ من مختلف الطبقات، فهو بين السياسيين شيخهم وإمامهم، وبين العلماء والمثقفين أستاذهم وزعيمهم، وبين رجال الحكم صديقهم وكبيرهم، وعند الناس جميعاً « فارس الخوري » وكفى ...

قالت عنه مجلة « المصور » الغراء[1] بأنه من فرسان الثورة العربية وممن نجح في استغلال الاحتكاك الإنجليزي الفرنسي المتخلف عن الحرب في سوريا، وأضافت بأنه اختلف — بعد التطهير والنجاح — مع أنداده فكان ممن جوزي جزاء سنمار .. وقالت بأنه لا يستند إلى عصبية حزبية تجمل منه صاحب نفوذ في بلده، ولذلك فهو قانع بما أصاب من نجاح، وهو قانع بدوره الهادىء خارج الحدود ...

وأفهم من هذا أن « فارس الخوري » لم يقدر حق قدره وأنه مازال بحاجة إلى عصبية تؤيده، وحزبية تسانده، ليبلغ مكانه اللائق في بلاده، ولذلك قنع بأن يكون مندوباً عن سوريا ورئيس وفدها في مجلس الأمن، واجب أن ألفت نظر « المصور » الغراء إلى أن « فارس الخوري » قد بلغ مكانه اللائق، وقدرته الأمة، وأحسنت له الجزاء، فانتخبته (نائباً) عنها وهو في أسريكا، ولم يتقدم لمنازعته مرشح آخر فانتخب بالتزكية، ثم انتخبه المجلس النيابي رئيساً له كذلك في هذه الدورة وفي الدورة السابقة، وكان في حقبة مضت رئيساً للوزراء.

وفي نظري أن « فارس الخوري » لا يطمع إلى أبعد من هذا، وهو قانع بما أصاب من صيت ذائع واسم لامع وشهرة تسامق الفرقدين، وحسبه أنه في عداد العباقرة الخالدين.

(القاهرة) عمر الخطيب

(فني الفيحاء)

(١) في العدد رقم ١٢٥٩.

وزارة المعارف العمومية

إدارة تقرير الكتب المدرسية

يقضي القرار الوزاري رقم ٧٧٣٣ بتاريخ ٩/٢/١٩٤٨ بأن تقوم المدارس بشراء الكتب اللازمة لمكتباتها بمعرفتها على أن تسترشد عند اختيار هذه الكتب بقوائم تعدها الوزارة بأسماء الكتب التي تراها صالحة لمكتبات كل فرع من فروع التعليم.

ولما كانت الوزارة حريصة على أن يدرج بالقوائم المذكورة كل ما يكون نافعاً من الكتب فهي ترجو حضرات المؤلفين الذين يرغبون في إدراج مؤلفاتهم بهذه القوائم أن يتقدموا بها إلى إدارة تقرير الكتب المدرسية لتقوم باتخاذ الإجراءات اللازمة نحو فحص هذه الكتب واتخاذ قرار بشأنها

٨٣٥

الضيافة

للأستاذ عبد المغنى على حسين

كانت دار الحاج إبراهيم ، بطرف القرية الصغيرة الهادئة ، تشهد مرحا فوق العادة من صغار ساكنيها وأحاديث اهتمام من كبارهم . فهذا أحد أحد أبناء الحاج إبراهيم ، فى العاشرة من عمره ، لبس جلباباً جديداً ، وراح ينظر مبتهجاً إلى خطوطه الزاهية الألوان ، ويجد فى هشاشة جدته أعظم نشوة وطرب ، وعلى رأسه طاقية من القماش نفسه ، وفى رجله الحذاء الذى يلبسه فى الأعياد . وهذا أخوه محمود ، يصغره بسنتين ، هو صورة مصغرة منه فى الجسم والثياب . وهذه أختهما الصغيرة سعدية ، تضحك فرحة بجلبابها الأحمر ، وعلى رأسها المنديل الجديد الفاقع الاصفرار .

وجلس الحاج إبراهيم على المصطبة بمدخل الدار ، يبرم مغزله بأصبعيه ، ويلاحق استطالة الفتلة بالصوف المنفوش ، ويخاطب امرأته فيلقى إليها بأوامره ويبادلها الرأى والجدل فى اهتمام واغتباط .

إنهم معتزمون السفر إلى مصر ، يعنى القاهرة ، لزيارة آل البيت بمناسبة مولد السيدة زينب ، وليوفوا نذراً عليهم لها طال تأجيلهم إياه عاماً بعد عام ، وليقضوا بضعة أيام عند قريبة لهم نزحت إلى القاهرة واستوطنتها منذ بعيد .

فلما دخلوا على قريبتهم ومعهم مقادير من الزاد ذى الروائح الشهية والطعوم اللذيذة من فطائر ريفية وقشدة وما إليها رحبت بهم أعظم ترحيب . ثم جلسوا يتذاكرون الماضى ، ويستعرضون أحوال الأقارب والأنسباء واحداً واحداً وواحدة واحدة ، ثم أخذ الضيوف يبدون إعجابهم بما رأوا فى المدينة الكبيرة من عجاب وجمال ، يراه الحاج إبراهيم للمرة الثانية فى حياته وتراه امرأته وأبناؤهما للمرة الأولى ، تلك الأضواء المتلألئة والمآثر الباذخة والمتاجر الزاخرة وزحمة مواكب المركبات والخلائق التى لاتنى ولا تنتهى ، وكل ما فيها مسرع عجل كأنما يسابق الذى أمامه ويفر مما وراءه ، وكأن حياته على الأرض ليست سوى ثوان فهو يستغلها على هذا النحو طيراناً ونهباً .

وفى الصباح بكر الضيوف إلى الخروج ، ليؤدوا الزيارة ويوفوا النذر ، ويملأوا عيونهم من مناظر المدينة . ثم عادوا آخر النهار ومعهم بعض حلوى المولد من عرائس ولعب .

فلما كان آخر يوم لهم بالقاهرة ، وقد اعتزموا الرجوع إلى قريتهم فى الغد ، خرجوا لقضاء حوائج لهم وليستمتعوا بفرجة أخيرة على زحمة المدينة وقت الأصيل وبهجة أضوائها بالليل . فلما قضوا أربهم وقفوا بمحطة الترام ليستقلوه عائدين .

وكان الزحام شديداً ، والمركبات تأتى غاصة ، كأنها أكداس بشرية تتحرك . وجاءت المركبة التى يريدونها بعد طول انتظار لكن ليس فيها موضع لقدم أو مسكة ليد ، فلما أراد الحاج إبراهيم أن يركب هو وأهله صاح فيهم « الكمسارى » ليبتعدوا وتفخ فى زمارته بشدة وانطلق .

وجاءت مركبة ثانية وثالثة ولا يمكنهم الركوب ، حتى عيوا من طول الانتظار . وجاءت مركبة آخر الأمر تريثت فى وقفتها بعض الشىء فاستجمع الحاج إبراهيم نفسه وأهله ليحشروا بين الراكبين بأية طريقة ، ورفع ابنته الصغيرة بين يديه فاندست وغاصت فى داخل المركبة بين الواقفين وهم بأركاب امرأته وابنه . ونظر الكمسارى فرأى أربعتهم يريدون الركوب وليس لهم موضع ، والوقفة طالت ، ولم يكن رأى الطفلة التى أركبت ، فصاح فيهم صيحته ونفخ نفخته وانطلق ، وجرى الحاج إبراهيم وراء المركبة وهو يصيح بالكمسارى مستوقفاً لينزل ابنته أو يركبوا معها ، وصاح بعض الراكبين بالكمسارى ليفعل ذلك ولكن الكمسارى لم يفطن إلى ما حدث بالضبط إلا بعد أن كانت المركبة قد استكملت سرعتها والرجل يجرى ليلاحقها بين السيارات المندفقة بسرعة مخيفة من كل ناحية .

وزمر الكمسارى مستوقفاً السائق لكن السائق أصم أذنيه عن زمره وقال فى نفسه إن الذى فاته النزول فى المحطة السابقة

يضيره كثيراً أن ينزل فى المحطة القادمة .

وعجز الحاج إبراهيم عن ملاحقة المركبة ، وأشفق على امرأته وابنيه أن يجروا وراءه فيصيبهم شيء فتوقف وعاد إليهم ، وأمرهم بأن يبقوا فى موضعهم ولا يبرحوه أبداً حتى يلحق بالبنت ويعود بها إليهم .

وكانت المركبة قد بلغت المحطة التالية فأنزل الكمسارى الطفلة الباكية وقال لها : اجرى عودى لأبيك .

وجرت الطفلة عائدة متتبعة شريط الترام ، لكنها لم تمش إلا قليلا حتى رأت شريط الترام يتفرع إلى فرعين فى شارعين مختلفين ، فوقفت متحيرة في أي الطريقين تمشي لتجد أهلها . ثم تخيرت أحدهما ... وكان الطريق الخاطىء !

وجاء الحاج إبراهيم مسرعاً صوب محطة الترام مؤملا أن يجد ابنته واقفة عندها . فلما لم يجدها غاص قلبه إلى رجليه ، ووقف ينظر حوله طائر اللب . ثم أخذ يسائل عنها من يلقى من الناس فلم يجد أحداً يعرف من أمرها شيئاً .

ومشى واسع الخطى إلى المحطة التالية لعل ابنته تكون أتت عندها ، ثم وقف هناك يحوقل ضارباً كفاً بكف .

ومشى محطة ثالثة ورابعة ... حتى يئس من هذا الهيام على غير طائل . وذكر الذين تركهم واقفين فى غربة مخيفة وقلق ممض فعاد أدراجه إليهم .

والطفلة أين ذهبت ؟! .. لقد أخذت تسير وتبكى ، وتقف تنظر حولها باحثة عن أهلها ؛ ثم تسير وتبكى ... حتى يئست من لقائهم فقعدت تعول وتنتحب .

وكان الناس يمرون بها رائحين غادين ، لكن لدى كل من شئونه ما يشغله عن طفلة تبكى وما قد يكون أبكاها من تافه الأسباب . لم يكن يقف عندها إلا بعض الصبية يدافع الفضول وليضحكوا من طريقتها الريفية فى العويل والبكاء . ومر بها رجل استلفته بكاؤها فوقف برهة يسائلها عن خطبها ثم نفد صبره وشيكا لما أبطأت فى الجواب ومضى لشأنه .

ثم أقبل رجل فى مقتبل العمر يمشى الهوينى ، فليس لديه كغيره من الناس عمل معين يقصد إليه . واستلفته بكاؤها فوقف برهة ينظر إليها . وفهم بسرعة ما حدث لها فلمعت عيناه بذكاء شرير وافترفمه عن ابتسامة كريهة وأسنان ذهبية .

وناداها « سعدية !! » . وكان قد سمعها تسمى نفسها لبعض الصبية الواقفين .

— سعدية !! .. أبوك أرسلنى إليك ... تعالى ! . إجرى !

وانتبهت الطفلة كغريق لمست يده شيئاً ، ونظرت إلى الرجل وكفت عن البكاء .

واستطاع الرجل بقليل من اللباقة والحنان المصطنع أن يستهوى الطفلة الملهوفة فأسلمته ذراعيها وانطلقا .

وركب وإياها الترام — كما قال له أبوها ! — ثم نزل وإياها فى مكان ما . ومشى إلى باب فطرقه وفتحت الباب فتاة طويلة نحيلة ، فى عينيها المرهاوين كحل كثير ، وعلى وجهها الناصع أصباغ دامية . ونظرت الفتاة فلما رأت أنه هو أدخلته ، وهى تبادله تحيات غير طيبات ، وتتحفه متلطفة ببعض السباب . ونظرت إلى الطفلة ، وضحكت ضحكة صارخة ، فغمز لها الرجل بعينه أن تسكت . قالت الطفلة « أين نحن ؟! » قال لها الرجل « فى بيت خالة لك » ثم مشوا إلى حجرة تجلس فيها امرأة بدينة . قال الرجل للطفلة « هذه خالتك » اقعدى هنا ، وسأذهب لآتى بأبيك » ونظرت المرأة البدينة من الطفلة إلى الرجل ومنه إليها ولم تقل شيئاً . ووقفت الطفلة تنظر حولها فى دهشة وريبة ، لكن الأمل كان أغلب عليها وهى تنظر إلى الرجل الذاهب ليأتى بأبيها .

وقعدت كما قيل لها . وجاء لها بعشاء حسن فأكلت منه ، فلم تلبث أن أحست بخدر ، وراحت فى نوم عميق .

وعاد الرجل فى آخر الليل ... قالت له المرأة البدينة « ما الذى أتى بك ؟! »

— لآخذ أتعابى ... كلام جميل !.. ما الذى أتى بى !!

— أى أتعاب ؟!.. طفلة لا تصلح لشيء !

— طفلة !.. إنها شجيرة بازغة سوف تثمر جوهرا ... إنها دجاجة صغيرة ستبيض ذهباً... انظرى إلى جسمها السوى وقسماتها الحلوة ... سلام عليها حين تطول وتكتمل ، ويعلو نهداها ، ويشكو خصرها من ردفها !.. ستكون النظرة إليها عندئذ بكذا. وسيهوى إلى بيتك ألوف الرجال مسلوبى القلوب مملوئى الجيوب . هيا انقدينى مائة جنيه ، ولا أقول ألفاً مما ستأتيك به من ألوف .

— مائة !! مائة من الجن يركبونك !! مائة !!

وجرى على هذا النحو الحوار ، والسلمة السكينة راقدة فى خدرها العميق .

من لأبيها وأمها فى ذلك الوقت بجرعة من تخدر !.. عندما عاد الرجل المسكين إلى المرأة المسكينة بغير البنت دقت صدرها ، ووقفا ينعتان الليلة السوداء . وأرشدها الناس إلى إبلاغ البوليس ففعلا ، ثم عاد إلى قريبتهما بقلبين ينفطران .

وعبثا سألوا ، وعبثا نادوا . إن ابنتهم زالت من الوجود المعروف . لقفها الشيطان وغاص بها فى عالم الظلمات .

كان أسوأ الفروض عندهم أنها لقيت حتفها على صورة ما . وكان يهدهدهم أمل فى أنها عند بعض كرام الناس . لم تكن تخطر ببالهم ، من لطف الله بهم ، تلك المباءات المفنة بجسم المجتمع المريض .

قالت المرأة الثكلى لزوجها : حاج إبراهيم ! السيدة زينب غضبت علينا لتأخيرنا وفاء نذرها .

ونذروا للسيدة نذراً آخر ، لكن يظهر أن السيدة زينب لم تكن راغبة فى نذرهم الثانى ... لو كانت السيدة زينب تملك من أمور دنيانا شيئاً لكانت غيرت منها الشيء الكثير ، ولو كانت تغضب من الناس حقاً لما أغضبها إلا هذا الاعتقاد العجيب ، والقول بأنها من أجل ذلك السبب التافة تلجأ لمثل هذا الانتقام الفظيع .

واستيقظت الطفلة فى اليوم التالى ، وجلست تفرك عينيها وتنظر حولها مشدوهة . قالت «أين أبى ؟!» قالوا لها صح النوم ! جاء وأنت نائمة ، ولما لم تستيقظى قال أبقوها هنا لتتعلم وتتمدن ، وسأحضر من البلد لأراها من حين لحين » وكانت لا تزال تحس ثقلا برأسها ، فعادت إلى نومها العميق المريب تتخلله مياهج ولذائذ عجيبة .

وأخيراً زال عنها الخدر والنعاس ، وأفاقت إلى الوحشة الموجعة ، والريبة فى المكان والسكان كما يفيق الذى أجريت له جراحة على آلام الجرح الكبير . فعولجت فى الحال بمزيج مناسب من الأيهام والإغراء والإرهاب . قيلت لها مختلف الأكاذيب ، وجيء لها بلذيذ المأكولات وبهيج الملبوسات ، أما انتقاضاتها ومحاولاتها الأفلات فقمعت فى الحال بعقوبات رهيبة حتى استسلمت للذى ليس منه بد .

كانت تبكى أهلها سراً عندما تخلو لنفسها ثم أخذت تسلو شيئاً فشيئاً ، وتنسى قليلا قليلا ، ثم اعتادت ما يحيطها ، ثم أخلدت إليه ، ثم ألفته ، ثم لم تعد ترى الحياة إلا سهر الليل ونوم النهار وأحاديث الدنس ومشاهده وكل ما يتعلق بصناعته .

تخرجت سعدية فى معهد الشيطان ، فلما اكتملت أنوثتها واستوت لم تكن بحاجة إلى أغواء وكانت هى الغاوية .

لم تعد تبكى أهلها . بل لم تعد تذكر منهم إلا ظلالا حائلة طافت بناظريها أيام الصغر ، ومشاهد القرية والدار والحقل صارت أطياف أحلام لا تخطر لها إلا فى منام . إنها اليوم امرأة حضرية تجيد التزين والمشى فى الطرقات بخطرة ونظرة وبسمة يتهاوى لها كثير من الرجال . حياتها سهر وخمر ولهو وعبث ونقود كثيرة تأتى وتذهب ، ورجال كثيرون يجيئون ويمضون . متعة متصلة فيما يبدو ، لكن آه كم هى مملة ومضنية . أين هى من خفقة حب حقيقية ، وخلجة حنان طبيعية . إنها متعة الجسد وحده والروح فى حرمان ، وما أتعسها متعة .

ثم آه من صناعة كل عدتها رواء الشباب ، وكل يوم يمر يحدث فى العدة ثلمة ليس لها التئام . كل الصناعات يزداد صاحبها على مر الأيام قدراً إلا هذه الصناعة فلا تزيد الأيام صاحبها إلا رخصاً .

إن سعدية كانت ولدت لتكون امرأة قروية تتزوج رجلا قروياً وتلد له بنين وبنات وتمشى إلى الحقل حافية فى أثواب بسيطة سوداء وتأكل الخبز المقدد وتافه الأدام . حياة شظف وخشونة ، لكن آه ! إن فيها قلبين يتجاوبان ، ونعمى الأمومة لا تعدلها نعماء .

أى الحياتين أفضل ؟!.. لكن ما جدوى المفاضلة بينهما ؟ . وهل كان لسعدية فى أمرها أى اختيار ؟ .. إن الذى هي فيه قد أريد لها وكان .

نعم لا أحد يمنعها الآن أن تخلع زينتها ، وتغسل أصباغها ، وتربى منها أثوابها الفاضحة ، وتخرج تائبة منيبة وتتزوج رجلا إن

وجد ، أو تقضي بقية العمر متبتلة طهوراً عاملة لكسب عيشها بعرق الجبين . لكن الذى يستطيع أن يخلق نفسه هكذا خلقاً جديداً لا يكون إلا ملاكا أو قديساً ، وسعدية لم تكن ملاكا ولا قديسة بل كانت امرأة عادية كغيرها من ملايين النساء .

هذه الخواطر كانت تطوف بنفس سعدية فى بعض الأحيان فلا تلبث أن تنفضها كلها عنها بهزة كتف وتنصرف إلى شيء آخر وهى أن تلوك بشدقيها مضغة اللاذن .

وذات يوم وهى تتخطر فى الطريق رأت رجلين قرويين أحدهما يكبرها بسنتين ويصغرها الآخر بمثلها ، ومعهما قروى عجوز مهدم وقروية عجوز لا تكاد تبصر . لم تكفها منهم كغيرهم من الناس نظرة عابرة بل علقت بهم عيناها لاتستطيعان عنهم حولا . ودارت بها الدنيا وهى تهوى بذاكرتها عبر السنين إلى أعماق الماضى البعيد . وتبعتهم عن كثب وقلبها يكاد يتوقف عن الخفقان .

ورأتهم يدخلون ضريح السيدة زينب . لقد عادوا يتوسلون إليها كيما تعود إليهم ابنتهم المفقودة . وماذا تصنع السيدة زينب فيما أقيم فيه العباد ؟ إن الله ربها وربهم لا يغير شيئاً بهم مالم يأت التغيير من جانبهم . ما حيلة السيدة زينب فيما لا يريده الله .

وطفرت من عينى سعدية دموع حرى . دموع لم تعرفها منذ فقدت أهلها أول مرة . وهؤلاء هم أهلها على بعد خطوات منها . هل تذهب إليهم وترتمى عليهم ؟ إن ثيابها وزينتها وسحنة وجهها ونغمة صوتها كلها مطبوعة بطابع داعر . وهى إن ذهبت إليهم فسينكرونها حتما ولن يعرفوها أبداً ، وإن استطاعت أن تعرفهم بها فلن يحتوا عنهم عارها إلا قتلها . خير ألف مرة لهم ولها أن يبقوا على ظنهم من أنها لقيت حتفها صغيرة على يراعة وطهر ، أو أنها ، إن كانت تعيش ، فعلى أى حال غير هذه الحال .

وأشاحت بوجهها عنهم وولت مدبرة .

لقد كانت طفلة ضالة ، وهى اليوم امرأة ضالة .

عبد الغنى على حسين

وزارة المعارف العمومية

إدارة التوريدات

إعـلان مناقصة

تقدم العطاءات بعنوان حضرة صاحب العزة السكرتير العام للوزارة بشارع الفلكى بمصر أو بالبريد الموصى عليه أو يوضعها باليد بمعرفة مقدميها فى داخل الصندوق المخصص لذلك فى إدارة المحفوظات بالوزارة لغاية الساعة الثانية عشر ظهر يوم الخميس الموافق ٢٣ / ١٢ سنة ١٩٤٨ عن توريد فحم حجرى خشن مغربل لازم للمدارس الصناعية والزراعية والمعاهد العليا فى عام ١٩٤٨/٤٩ .

يمكن الحصول على شروط وقائمة المناقصة المذكورة من إدارة التوريدات

الادارة الهندسية القروية

بالشرقية

تعلن تأجيل فتح مظاريف مناقصة إنشاء دورة مياه مسجد ناحية بنى حسين مركز منيا القمح جلسة ١٩٤٨/١٢/١١ إلى ظهر يوم ٢٥ ديسمبر ١٩٤٨ مع إضافة دورة أخرى بناحية المجازر مركز منيا القمح . وتطلب الشروط والمواصفات من الادارة على عرضحال تمغة فئة ثلاثين مليما نظير دفع مبلغ جنيه بخلاف مائة مليم أجرة البريد ويمكن الاطلاع على البوم

بشارع صفية هانم زغلول بمصر مقابل دفع مبلغ مائة مليم يضاف إليه مبلغ ٥٠ مليم أجرة البريد وتقدم الطلبات على ورقة تمغة من فئة ٣٠ مليم .

٨٦٠

جامعة فؤاد الأول

إعـلان

تقبل عطاءات بمكتب حضرة صاحب العزة سكرتير عام جامعة فؤاد الأول بحدائق الأورمان بالجيزة لغاية الساعة الثانية عشرة من ظهر يوم ٢٣ / ١٢ / ١٩٤٨ عن توريد كتب لكلية دار العلوم .

ويمكن الحصول على الشروط مقابل مبلغ ٢٠٠ مليم يضاف إليه مبلغ ٣٠ مليم أجرة البريد وتقدم الطلبات على ورقة تمغة من فئة ثلاثين مليما .

٨٤٦

الرسومات بمكتب الادارة بالزقازيق .

٨١٧

سكك حديد الحكومة المصرية

صرف تذاكر مشتركة إلى الوجه القبلي بأجور مخفضة للسفر بها بالسكك الحديدية والمبيت بها في عربات النوم والإقامة في الفنادق

يتشرف المدير العام بإعلان الجمهور أنه بموجب اتفاق مع شركة فنادق الوجه القبلي والفنادق الاخرى وشركة عربات النوم قد تقرر إعادة صرف التذاكر المشتركة بمعرفة مصلحة السكك الحديدية للحكومة المصرية ابتداء من أول ديسمبر سنة ١٩٤٨ لغاية ٣٠ إبريل سنة ١٩٤٩ بأجور مخفضة للسفر بالسكك الحديدية والمبيت في عربات النوم للدرجة الأولى فقط والإقامة في الفنادق .

وتشمل هذه التذاكر الإقامة في الفنادق المبينة بعد :

اسم الفندق	الدرجة	الأجرة عن ٥ أيام و ٤ ليال من القاهرة مليم جنيه
فندق وينتر بالاس بالأقصر	درجة أولى ممتازة	١٤٠ ر ١٧
فندق كاتاراكت بأسوان	» »	٢٦٥ ر ١٩
فندق الأقصر بالأقصر	درجة أولى	٤٠٥ ر ٩
فندق جراند أوتيل بأسوان	»	١٣٠ ر ١٠
فندق سافوى بالأقصر	درجة ثانية ممتازة	٥٣٠ ر ٨
فندق العائلات بالأقصر	درجة ثانية	٤٣٠ ر ٦
فندق المحطة بالأقصر	»	٤٣٥ ر ٦

ويمكن الاستعلام عن كافة البيانات والشروط المتعلقة بهذا الموضوع من محطات مصر والاسكندرية وبور سعيد وبور توفيق وشركة الملاحة المتحدة وشركة عربات النوم وتوماس كوك وولده .

الفكر الاجتماعي

لمؤلفه الأستاذ الكبير محمد يونس الحسيني

خواطر ولمحات تثير في النفس ألواناً من البحث والتمحيص في العوامل الاقتصادية التي تركت أثراً في حياة بني الإنسان ، وفي نشوء روح الجماعة وقيام عادات خلقية وعقائد روحية بين بني البشر ، وتريك صورة واضحة للانسان الأول ونظام الأسرة منذ أيام ما قبل التاريخ وفي فجر المدنية والعصور اليونانية والرومانية والعالم العربي قبل الإسلام وعالم القرون الوسطى والعصر الحديث ، وتبسط أمامك شتى المذاهب الاجتماعية والاقتصادية بأسلوب سهل جذاب .

٢٠٦ صفحة على ورق ممتاز — ثمن النسخة ٢٥ قرشاً صاغاً عدا البريد

يطلب من أصحاب دار إحياء الكتب العربية

عيسى البابي الحلبي وشركاه

صندوق بريد الغورية ٢٦ — ت : ٨٥٦ ٥ — س . ت : ١١٤٦٠

مطبعة الرسالة